
رتشارد
الثاني
لشكسبير
تعريب
محمد عوض ابراهيم بك

مسرحية رتشرد الثاني

للشاعر شكسبير

نقلها إلى العربية

محمد عوض ابراهيم بك



ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف بمصر

أشخاص المسرحية

الملك رتشرد الثانى
چون جونت دوق «لنكستر» } عما الملك
ادمند لنجلى « دوق يورك » } عما الملك
هنرى الملقب ببولنجبروك « دوق هرفورد » بن چون جونت والملك هنرى الرابع فيما بعد
دوق أومرل بن دوق يورك
توماس موبرى « دوق نرفلك »
دوق سرى
إيرل سلسبرى
لورد بركلى
بشى — بجت — جرين «خدم الملك رتشرد»
ايرل نرثأ مبرلند
هنرى برسى — الملقب بهتسبر ولده
لورد روس

لورد ولوبى
لورد فتز وتر
مطران كارليل
رئيس دير وستمنستر
لورد مرشال « المشير العسكرى»
سير ستيفن سكروب
سير بيرسى إكستن
ضابط فرقة من جنود ويلز
الملكة — زوجة رتشرد
دوقة يورك
دوقة جلوستر
وصيفات الملكة

لوردات آخرون — ضباط — جنود — بستانيان — حارس — رسول — سائس وغيرهم من الخدم

المنظر : فى انجلتره وويلز

خلاصة المسرحية

حكم رتشرد الثانى ملك انجلترة من سنة ١٣٧٧ إلى سنة ١٣٩٩ ميلادية وقد خلفه هنرى بولنجبروك دوق لنكستر وتولى الحكم باسم هنرى الرابع من سنة ١٣٩٩ إلى سنة ١٤١٣ . والمسرحية المذكورة قصة النضال بين هذين العاهلين وموازنة بين سلوكيهما . وتبدأ بشعور الملك بمنافسة بولنجبروك له فيأمر تعسفاً بنفيه خارج انجلتره لمدة ست سنوات . وقد كان هذا العمل ظلماً صارخاً جعل بولنجبروك يحقد على الملك ويتأهب وهو بالمنفى بمعاونة أصحابه للعودة إلى انجلتره . وكان قصده عند عودته أن يحصل على أملاكه التى اغتصبها الملك ومنع وكيل بولنجبروك من الحصول عليها بالوسائل المشروعة .

هذا إلى أن إرهاق الأشراف وظلم الرعية وإسراف الملك فى ضرب الضرائب الفادحة الظالمة على رعاياه وبخاصة الأشراف منهم وظلم الرعية وسوء إدارته جملة زادت فى كره الرعية له وجعلتهم على استعداد للترحيب ببولنجبروك فأمدوه بالرجال والعتاد عند حضوره وذلك عند ما انتهز فرصة غياب الملك فى إيرلنده (لمحاربة الثائرين عليه) مما اضطر الملك لسرعة العودة إلى انجلترة ولكن بعد فوات الأوان ، فاضطر للتنازل عن العرش . ويشرح شكسبير ما قام به بولنجبروك عند توليه الحكم من القضاء على متملقى الملك

الذين أثروا على حساب الدولة وزجوا بسيدهم فى مآزق ما كان أغناه عنها . فلقد كانوا السبب فيما نزل بالشعب من المكروه ، كما يشرح كذلك الشاعر العظيم بأسلوب راق المصائب التى حلت بالملك وعدم استطاعته التخلص منها أو مواجهة خصمه ، ولا يرى مندوحة من التنازل عن العرش بمحض إرادته وعند ذلك أسر وسجن فى قلعة ثم قتل فى سجنه بإيعاز من بولنجبروك الذى كان قد خلفه على العرش من قبل .

الفصل الأول

المنظر الأول

قلعة وندسور

(يدخل الملك رتشرد وچون جونت ومعهما غيرهما من النبلاء والخدم)

رتشرد : أيها الصديق، چون جونت . ويا شيخ لنكستر المبجل ، هل بررت بقسمك وعهدك وأحضرت هنا ابنك الجسور هنرى هرفورد ليؤكد لنا التهمة الشنيعة الأخيرة التى ينسبها إلى دوق نرفلك (توماس موبرى) والتى لم يتسع وقتنا لسماعها ؟

جونت : نعم يا سيدى .

رتشرد : زدنى . وهل سبرت غوره لترى ما إذا كانت هذه التهمة أساسها حقد طال أمده بينه وبين الدوق ، أو أنه كأحد أفراد الرعية الفضلاء لديه من الأسباب ما يؤيد اتهام الدوق بالخيانة ؟

جونت : لقد تفحصت ما بنفسه جهد استطاعتى فى هذا الشأن فوجدت أن الباعث له على الاتهام خطر ظهر له من الدوق

يخشى منه على جلالتكم وليس حقداً قديماً على الدوق .

رتشرد : إذاً فاستدعهما لنا يواجه بعضهما بعضاً متجهمين . وسنسمع بنفسنا المتهم والمتهم يدليان بما عندهما إدلاء حراً . إن كليهما صلف متكبر ومملوء غيظاً ، وغضبهما أصم كالبحر وسريع كالنار .

(يدخل بولنجبروك وموبرى)

بولنجبروك : فليمد الله فى أجل مولاى سنين عديدة ينعم فيها بالسعادة . أى ملكى الكريم يا أحب الناس إلى .

موبرى : فلتزدد سعادتك يوماً بعد يوم حتى تحسد السماء حظ الأرض فتضفى على تاجك الخلود .

رتشرد : شكراً لكما . غير أن أحدكما يتملقنى كما يظهر من الباعث لكما على الحضور إلينا . ذلك أنكما أتيتما ليتهم أحدكما الآخر بتهمة الخيانة العظمى . يا بن عمى هرفورد ما هو اتهامك لدوق نرفلك (توماس موبرى) ؟

بولنجبروك : فليشهد الله أولا على ما أقول : إن ما يدفعنى إلى ما أدلى به هو ولاء فرد من أفراد الرعية محب مخلص لمولاه ، معتز بسلامة مليكه الغالية . ولذلك فإن اتهامى ليس منشؤه كره شخصى ممقوت للمتهم ولكنه الإخلاص للعرش . وبعد فياتوماس موبرى فإنى أتقدم نحوك بالتحية ، وإن ما أقوله سأجازى عليه فى هذه الحياة الدنيا وتسأل عنه نفسى الطاهرة فى الآخرة : أقول إنك خائن

وسافل مرذول وهذا لا يليق بكرم أرومتك وشرفك ومركزك . هذه الصفات التى كان يجب أن تنزهك عن ذلك، وتزيد فى شناعة تهمتك (وخير لمن على شاكلتك الموت لأنه كلما زاد صفاء السماء كان منظر السحب بها أبشع) . ولكى أمعن فى إهانتك وفضيحتك أقول إنك خائن وأرغب بعد استئذان مولاى ألا أبرح مكانى هذا قبل أن أؤكد بسيفى هذا صحة ما أقول .

موبرى : لا تجعلوا كلماتى الرزينة الهادئة تثير فى نفوسكم الشك فى حميتى لأن الأمر ليس مناضلة نسوية يتبارى فيها لسانان بألفاظ بذيئة ويحكم فيه لأشدهما إقذاعاً ، فإن الدم الحار يجب أن يفتر من أجل هذا ولكنى يعوزنى الفخر بصبر هادئ كهذا حتى يعترينى الصمت ولا أنطق ببنت شفة . بيد أن احترامى لجلالتكم يمنعنى من أن أرخى العنان لنفسى وأنطلق فى كلامى على سجيته . ولولا ذلك لأسرعت وتكلمت بما يرد كيد المفترى واتهامه لى فى نحره أضعافاً مضاعفة . على أنه إذا غضضتم الطرف عن شرف محتده وقرابته لسيدى الملك فإنى أتحداه ، وأبصق فى وجهه وأصمه بأنه جبان هماز ، ونذل وغد . ولكى أؤكد ذلك فإنى مستعد أن أتكرم عليه بالمبارزة وأقابله وجهاً لوجه حتى ولو كنت ضعيف القدمين ، وأسير فى إثره حتى إلى جبال الألب المتجمدة أو أى أرض أخرى غير مأهولة ،

والتى لم تجرؤ قدما أى انجليزى على وطئها ، كى أدافع عن ولائى وإخلاصى وأدفع كذب اتهامه . وأقسم بكل آمالى أنه يكذب كذباً صراحاً .

بولنجبروك : أيها الجبان الرعديد إنى أقذف بقفازى وأتنازل عن قرابتى وأتنحى عن باذخ حسبى وشرف رحمى الملكى الذى يحملك الخوف بسببها لا الاحترام على الاعتراض على المبارزة . وإذا ترك لك خوفك الإجرامى فأى قوة تستطيع معها أن تقبل تحدى للمبارزة فانحن وتناول القفاز ؛ وسأسمح لك بكل ما يقتضيه عرف الفروسية كى أثبت التهمة عليك أو أرد أية تهمة أشنع منها تلصقها بى .

موبرى : لقد قبلت تحديك ، وأقسم بهذا السيف الذى نلت به شرف الفروسية لأرضينك إلى أقصى الحدود التى يستدعيها هذا الشرف . وعند ما أمتطى صهوة جوادى حيًّا أرجو ألا أنزل عنه إلا جثة هامدة لو كنت خائناً أو أبارزك بدون وجه حق .

رتشرد : أى تهمة يوجهها ابن عمى إلى موبرى ؟ يجب أن تكون خطيرة حتى تجعلنا نسىء الظن به .

بولنجبروك : أعرنى التفاتكم ، وما أقوله سأبرهن على صدقه بحياتى . لقد تسلم موبرى ثمانية آلاف نوبل[1] أمانة ليوزعها على جنود جلالتكم ولكنه احتجزها لنفسه واستعملها فى أغراض

---

(١) القطعة : تساوى $8\frac{1}{2}$ شلن فيكون المجموع ٣٤٠٠ جنيه انجليزى

دنيئة . شأنه فى ذلك شأن خائن عر ، وشرير وبيل ؛ هذا إلى أنى أقول إنه أيضاً وسأبرهن على قولى بالنضال سواء هنا أو فى أى جهة أخرى حتى أقصى الجهات التى وقعت عليها عين أى رجل انجليزى — أقول إن كل ائتمار بالشر فى الثمانى عشرة سنة السالفة دبر أو فكر فيه فى هذه البلاد كان أول من قام به وبذر بذوره موبرى الخائن . وأقول فضلا عن هذا وأتكفل بإثبات ذلك بالانتقام من حياته أنه دبر قتل دوق جلوستر . وحرض خصومه السذج الغريرين على ذلك . وهم أولئك الذين صدقوا مانسبوه إليه وسفكوا دمه وذهبت روحه البريئة ضحية مكر ذلك الرعديد الخائن وسالت دماؤه — تلك الدماء التى كان شأنها كشأن دماء قابيل — وما زالت تصرخ من بين كهوف القبور الساكنة وتنادى بالقصاص والعقاب الصارم . فبشرف حسبى ليأخذن ساعدى هذا بثأره أو أموت دون ذلك .

رتشرد : ما أسمى ما يرتفع إليه عزمه ! يا توماس نرفلك ما قولك فى هذا ؟

موبرى : أطلب إلى مولاى ألا يلقى بالا إلى هذا الرجل ولا يسمع منه كلمة حتى أكلمه إذ أنه جلب الخزى على شريف حسبه بكذبه البذىء واستحق مقت الله والرجال الصالحين

رتشرد : يا موبرى إن سمعى وبصرى منزهان عن التحيز . ولو كان

أخى أو ولى عهدى كما هو ابن عمى فإنى أقسم بجلال تاجى أن هذه القربى بالجنب لدمائنا المقدسة لا تجعل له ميزة ولا تجعلنى متحيزاً فتثنى روح العدالة المستقيمة فى نفسى . إنه يا موبرى أحد أفراد الرعية مثلك وأسمح لك بأن يكون لك مطلق الحرية فى كلامك بدون أن تخشى أحداً .

موبرى : إذن فإنى يا بولنجبروك أقذف بإفكك إلى صدرك ليصل إلى قلبك عن طريق بلعومك الكاذب . وأقرر أنك مفتر أثيم فإن ثلاثة أرباع النقود التى تسلمتها صرفتها فى حينها إلى جنود الملك بكاليه (Calais) . وأما الجزء الرابع فإنى احتجزته لنفسى برضا الملك إذ كان مديناً لى بدين باهظ من جراء ما صرفته عند ما ذهبت إلى فرنسا أخيراً لإحضار ملكته . فابلع هذه الكذبة إذن . أما من جهة موت جلوستر فإنى لم أسفك دمه ولكنى أهملت الوفاء بعهدى مما بعث فى نفسى الحزن والخزى . أما أنت يا لورد لنكستر الوالد الشريف لخصمى فإنى ذات يوم نصبت كميناً لاغتيالك — وهذا إثم كثيراً ما حز فى نفسى الأسيفة — ولكنى قبل أن أتناول القربان المقدس اعترفت بخطيئتى وطلبت إليك المغفرة وأرجو أن أكون قد نلتها . هذا هو كل ذنبى . أما باقى التهم الموجهة إلى فإن سببها بغضاء خائن ، منحط سافل ، وسأرد كيده فى نحره بنفسى .

وردا عليه، أرمى قفازى إلى قدم ذلك الخائن الصلف
كى أثبت أنى سيد مخلص . وسأسفك خير دم فى
صدره ، ولكى أسرع فى إثبات ذلك أتوسل إلى جلالتكم
توسلا صادقاً أن تعينوا يوم نضالنا .

رتشرد : أيها السيدان اللذان أخذ الغضب منهما كل مأخذ اسمعا قضائى: لقد قررنا أن نستل هذا الغضب بدون إهراق الدماء لأن الحقد يجرح النفوس جرحاً بالغاً ، فانسياه وتصافحا واصطلحا واتفقا . لأن أطباءنا يقولون إن هذا الشهر[1] غير ملائم لنزف الدماء . فيا عمى العزيز: دع المسألة تنته عند هذا الحد وكأنها لم تكن . وسآخذ على عاتقى إطفاء ثائرة غضب دوق نرفلك وتسكت أنت ثائرة ولدك .

جونت : إن المصالحة والمسالمة تلائم شيخوختى فارم يا ولدى قفاز دوق نرفلك .

رنشرد : وأنت يا نرفلك ارم قفازه .

جونت : ومتى تكون المبارزة . متى ؟ لأن واجب الطاعة يمنعنى من أن ألح فى ذلك مرة ثانية

رتشرد : إنى آمرك يا نرفلك بأن ترمى القفاز إذ لا فائدة من التأخير أو الرفض .

موبرى : سمعاً وطاعة يا سيدى المهيب . إنى أرميه تحت قدميك ولك أن تتحكم فى حياتى إلا فيما يجاب على العار ، لأن

(١) مذكور فى التقاويم أن فصلى الربيع والخريف هما اللائقان للحجامة

إطاعتك من واجبى ، ولكن سمعتى الطيبة ستكون حديثاً بعدى على الرغم من موتى . ولك أن تتصرف فى حياتى كما تريد ولكن ليس لك أن تقضى على سمعتى بأية طريقة غير شريفة . فلقد فضحت واتهمت ولطخت بالعار الشنيع هنا ، ونفذ إلى روحى سهم ذلك الهماز المسمم ، ولا يمكن أن يكون بلسما لها غير دم قلبه الذى نفث هذا السم .

رتشرد : أقلع عن غضبك واقض عليه وأعطنى قفازه ، فإن السباع تجعل الفهود مستأنسة .

موبرى : ولكنها لا تغير بقع جلودها . اقض على العار الذى لحقنى وأنا أسلم قفازه . يا عزيزى ، عزيزى السيد : ان أغلى كنز تهبه الحياة الإنسانية هو السمعة النقية فإذا فقد الرجال ذلك أصبحوا كالصلصال المذهب أو الطين المطلى . والجوهرة فى صندوق محكم الإغلاق هى الروح المتوثبة فى صدر رجل مخلص . إن شرفى هو حياتى وهما (الحياة والشرف) غصنا شجرة نابتان من جذع واحد ، فإذا سلبت شرفى منى قضيت على حياتى . فدعنى إذن يا سيدى أدلل على شرفى الذى به أحيا ومن أجله أموت .

رتشرد : ارم يا بن عمى القفاز الذى تمسك به وكن أنت البادىء .

بولنجبروك : فليرحمنى الله من خطيئة مرذولة كهذه . هل أظهر مهزوماً فى حضرة والدى ؟ أبخوفٍ مثل خوفِ السائل الرعديد

أتهم نفسى وحسبي أمام ذلك النذل الجبان ؟ فأقبل أن يجرح شرفى بهذا الكلام المزرى ، أو أسلم عند ترنيم الأبواق تسليماً مزرياً ؟ ستمزق أسنانى ذلك اللسان الذى ينطق بالجزع ، وتقذف به دامياً مرذولا مجللا بالعار الشنيع فى وجه من يكمن به الخزى وهو وجه موبرى . (يخرج جونت)

رتشرد : لم نخلق لنرجو بل لنأمر ، ولذلك بما أننا لا نستطيع إيجاد الصفاء بينكما فاستعدا للمبارزة فى كفنترى يوم سنت لامبرت[1] وإلا تعرض من يغيب منكما للإعدام . وهناك ستفصل سيوفكما ورماحكما فى هذا الخلاف العظيم بينكما الذى منشؤه البغض المستعر فى نفسيكما ، وبما أننا لم نستطع مصالحتكما فسيكون الحكم للفارس المنتصر منكما . أيها المشير مر ضباطنا الحربيين لأن يستعدوا للقضاء على تلك الثورة الداخلية[2]

(يخرجون)

---

(١) ١٧ سبتمبر

(٢) الثورة فى ايرلنده وسنسمع عنها فيما بعد

المنظر الثانى

قصر دوق لنكستر

(يدخل چون جونت ودوقة جلوستر)

جونت : إنه لمما يؤسفنى سفك دم وودستك الذى تربطنى به صلة الرحم . وإن هذا يدعونى للانتقام من مغتاليه أكثر من توسلاتك وصياحك ، يدعونى هذا لأن أثيرها حربا شعواء على مغتاليه ، غير أنه لما كان عقاب هؤلاء السفاحين فى أيدى أولئك الذين ارتكبوا هذا الإثم ولا يمكننا الاقتصاص منهم فلنفوض أمرنا إلى الله الذى سيمطر فى الوقت المناسب وابلا من انتقامه الجبار على رءوس المجرمين .

الدوقة : أليس فى أخوتك ما يدفعك إلى ما هو أكثر من ذلك ؟ أليس هناك نار متأججة فى صدرك العتيد ؟ لقد كان لإدوارد سبعة أولاد وأنت أحدهم ، وهم كسبع قارورات امتلأت بدمه المقدس أوكسبعة فروع من أصل واحد . ولقد ذبل بعض هذه الأغصان ومات حتف أنفه ؛ وبعضها أصابته يد القضاء والقدر . ولكن توماس يا سيدى اللورد ؛ حياتى ، ومحبوبى جلوستر ، ذلك الفتى الذى كان قارورة مملوءة بدم ادوارد المقدس ؛ تلك الدوحة النضرة من ذلك الأصل الملكى ، قد كسرت وسال منها جميع ماء حياتها الثمين ، وانخرم غصن شبابه وذبل فى عنفوانه ،

ولقد استأصلتها يد الحاقد وبلطة السفاح . آه يا جونت ، إن دمه كان دمك . وتلك السيدة التى وضعته ونشأته كتنشئتك وربته رجلا ، هى بعينها أمك . ولو أنك الآن تحيا وتتنفس فإنك قد مت بموته . وكأنى بك ترضى إلى حد كبير بموت والدك إذا رضيت بموت أخيك الذى كان نموذجاً لحياة والدك . فلا تدع أن الصبر والحلم هما اللذان أقعداك يا جونت ، إنه اليأس . فإذا صبرت واستسلمت لسفك دم أخيك فإنك تعرض حياتك للخطر ، وتعلم القاتل وسيلة سفك دمك . وما نسميه عند الأوغاد صبراً هو جبن فى الصدور الشريفة . وما الذى أقوله ؟ إن أحسن وسيلة للاطمئنان على حياتك وأمنها أن تثأر لقتل زوجى جلوستر .

جونت : إن القصاص بيد الله لأن نائبه (الملك) الذى مسح بالدم المقدس على مرأى منه فى ملكوته قد سبب قتله ؛ فإذا كان هذا الفتى قتل ظلماً فلينتقم الله له ، لأنى لا أستطيع أن أرفع يدى الغاضبة على منفذ إرادته .

الدوقة : واسوأتاه ! فلمن إذن أضرع بالشكوى ؟

جونت : لله الذائد عن الأيامى والمناضل عنها .

الدوقة : سأفوض أمرى إذن إلى الله . وداعاً يا شيخ جونت . ستذهب إلى كفنترى لترى النضال بين قريبى هرفورد وذلك النذل موبرى . فلتقع مظالم زوجى على رمح هرفورد فتثقلنه

وتدفع به فى صدر موبرى السفاك . وإذا صادف هرفورد سوء الحظ فى أول دور من أدوار النضال فلتثقل آثام موبرى كاهله حتى تقصم من ثقلها ظهر جواده المضطرب فيقذف براكبه على حاجز ميدان المعركة جباناً رعديداً مدحوراً مقهوراً لابن عمى هرفورد ! وداعاً أيها الشيخ جونت ، فإن من كانت زوج أخيك سيرافقها الحزن ويقضى حتما على حياتها .

جونت : وداعاً يا أختى . ولا مندوحة لى من أن أذهب إلى كفنترى وإنى أتمنى لك الخير كما أتمناه لنفسى .

الدوقة : ولكن لى كلمة أخرى : إن الحزن لا يبقى ساكناً فى الصدور بل لا بد له من منفذ ، فإنه يثب بعد أن ينزل ، لا لأن جوفه فارغ كالكرة به لأنه ثقيل ، فلا ينتهى عند ما يخيل للمرء أنه قضى عليه . بلغ تحياتى لأخى أدمند يورك وهاك كل ما أردت قوله ؛ ولكن مهلا لا ترحل على هذا الوجه ، ولو أن كل ذلك ما أردت قوله ، فلا تنصرف سريعاً فلربما تذكرت أكثر من هذا . مره. بماذا تأمره ؟ مره أن يذهب سريعاً جداً إلى بلاشى ليزورنى . واسوأتاه ! ما الذى سيراه ذلك الشيخ الجليل هناك ؟ لن يرى سوى منزل قفر ليس بنوافذه ستائر ترخى عند الموت ، وحجرات خدم خاوية وطرق مهجورة . ولا قرى له فيه سوى أنّاتى؟ إذن فسلم عليه وحل دون حضوره هناك

حيث يجد الحزن منبثاً فى كل جهات المنزل : إنه مكان بلقع مهجور . وسأذهب هناك وأموت . وآخر وداع لك منى تذراف الدمع من عينى . (يخرجون)

المنظر الثالث

ميدان المبارزة فى كفنترى

(يدخل المشير العسكرى ودوق أومرل) .

المشير : يا لورد أومرل . هل تسلح اللورد هرفورد ؟

أومرل : نعم تسلح تسليحاً تاماً ويحن للدخول فى المعمعة .

المشير : إن الدوق نرفك الممتلىء نشاطاً وشجاعة ينتظر نفخ بوقه طالباً النزال .

أومرل : فالمناضلان إذن . مستعدان وينتظران قدوم جلالة الملك .

(ترنيم من الأبواق . يدخل الملك رتشرد ويجلس على العرش ، ويجلس كل من جونت وبشى وجرين وغيرهم فى محالهم . يرنم بوق ويرد عليه بوق آخر من الداخل ، ثم يدخل موبرى وعليه مجنة ويسبقه القائم على تنظيم مراسيم الفروسية) .

رتشرد : أيها المشير ، سل ذلك الفارس عن سبب وجوده هنا مسلحاً.

واسأله عن اسمه ، ثم اجعله يقسم بالله وبالملك على أن قضيته عادلة .

المشير : أقسم بالله وبالملك وأخبرنى من أنت ، ولماذا جئت هنا مدججاً بالسلاح ؟ ومن الذى جئت لمبارزته ، وسبب نضالك معه . قل الصدق بحق فروسيتك وبحق قسمك ، وليحرسك المولى وتصونك شجاعتك .

موبرى : إن اسمى توماس موبرى ، دوق نرفلك . ولقد جئت هنا باراً بقسمى (الذى يحرس المولى أى فارس من الحنث به) لأدافع عن ولائى وإخلاصى لله وللمليكى ، ولأبارز دوق هرفورد الذى يتهمنى . وبعون الله وبقوة ساعدى سأناضله وأثبت أنه خائن لله وماكى ولى . ولينصرنى الله لأنى سأناضل والعدل فى جانبى .

(يرنم البوق — يدخل بولنجبروك وعليه درعه وأمامه القائم على التنظيم)

رتشرد : سل ذلك الفارس المسلح عن اسمه . ولماذا أتى لابساً درعا حربية من الحديد . واستنطقه بحسب أصول قوانيننا المرعيه عن عدل قضيته .

المشير : ما اسمك ولماذا أتيت هنا فى حضرة الملك رتشرد فى ميدان النضال الملكى . ومن ستبارز . وما سبب المبارزة ؟ تكلم كفارس صادق ، وليحرسك الله !

بولنجبروك : إنى هنرى هرفورد ، لنكستر ودربى . وإنى أقف هنا

مدججاً بالسلاح لأثبت بفضل الله وشجاعتى فى ميدان النضال أن توماس موبرى ، دوق نرفلك ، شرير خطر خائن لإله السموات والملك رتشرد ولى . وبما أنى سأناضل عن الحق فليحرسنى الله .

المشير : (إلى الجمع) سيعدم كل شخص يجرؤ على النزول إلى الميدان غير المشير وغيره من الضباط المعينين لتدبير أمور هذه المعركة العادلة .

بولنجبروك : أيها المشير ، اسمح لى أن أقبل يد مليكى ، وأجثو بين يدى جلالته لأن مثلى ومثل موبرى كمثل رجلين أقسما على حج طويل متعب . فإذن دعنا نودع أصدقاءنا الكثيرين توديعاً رسمياً رائده الحب .

المشير : إن المدعى كما يقتضيه واجبه يقدم تحياته لجلالتكم ويطالب أن يقبل يدكم ويستودعكم .

رتشرد : سننزل ونعانقه . يا بن عمى هرفورد بما أن الحق فى جانبك فى هذا النضال فليكن الحظ أيضاً فى جانبك . وداعاً يا من تربطه بى صلة الرحم ، وإذا أهريق دمك اليوم فسيتولانى الحزن ولكنى لن أنتقم لموتك .

بولنجبروك : لن تدنس عين شريفة نفسها بإذراف الدمع على إذا اخترمنى رمح موبرى ، غير أنى مؤكد أن نضالى مع موبرى سيكون كانقضاض البازى على العصفور (إلى المشير) يا سيدى اللورد المحب . أستودعك الله ، كما أنى

أستودعك يا عمى النبيل ، لورد أومرل ، ولست خائر القوى مع أنى سأواجه الموت ، ولكنى ممتلىء قوة ، وشباباً منتعشا انتعاش الجذلان المغتبط . وكما أنه فى الولائم تقدم أطباق الفاكهة فى النهاية لتكون آخرها حلوة فإنى أحيي أظرف الموجودين هنا . أخيراً (إلى جونت) يا من كنت سبب وجودى فى هذه الحياة والذى تجدد روحك الفتية نفسى هب لى قوتك فتكون لى قوتان تشدان أزرى للانتصار وتضيف قوة بدعواتك إلى درعى فتجعله متيناً صلباً قضاء ، واشحذ ببركاتك حد رمحى حتى ينفذ إلى درع موبرى الواهى ، ويرتفع اسم جون جونت ببطولة ولده .

جونت : فليشدد الله أزرك ويقدر لك النجاح فيما أنت قائم به من العمل الصالح ، فكن سريعاً فى قتالك مثل البرق الخاطف ، ولتكن ضرباتك أضعافاً مضاعفة تسقط كالرعد القاصف المزعج على خوذة عدوك اللدود الشرير ، واستفزز دمك الفتى وكن شجاعاً صنديداً . ولتكتب لك السلامة .

بولنجبروك : أرجو أن توفقنى براءتى ويساعدنى القديس جورج على الانتصار !

موبرى : مهما كتبه الله لى فى صحيفة القدر ومهما كان حظى (فى هذه المعركة) وسواء أحييت أم مت ، فإنى مخلص

لعرش مولاى الملك رتشرد ، وسيدٍ موال له ، وعادل مستقيم. وما من أسير تخلص من ربقة أسره وفك أغلال قيده أكثر فرحاً وغبطة وسروراً منى وأنا داخل هذا المعمعان البهيج مع خصمى . يا سيدى الجليل ويا زملائى الأشراف تقبلوا منى الدعاء لكم بأسعد الأوقات . وإنى ‍ادخل فى المعركة مسروراً كأنى سأشترك فى حفلة مسرات لأن الحق رائده الطمأنينة .

رتشرد : وداعاً أيها اللورد . إنى أبصر الفضيلة والشجاعة كامنتين فى عينيك . مر بالبدء فى المعركة أيها المشير .

المشير : هنرى هرفورد ولنكستر ودربى ، تسلم رمحك وليرعك الله فى الدفاع عن حقك !

بولنجبروك : وانى أقول « آمين » وأملى قوى كالحصن المنيع .

المشير : (إلى ضابط) خذ هذا الرمح وناوله إلى توماس ، دوق نرفك .

القائم الأول : هنرى هرفورد ولنكستر ودربى ، يقف هنا ليدافع عن حق الله وملكه ونفسه ، وسينزل به القصاص إذا كان كاذباً أو ناكثاً للعهد ، وذلك كى يثبت أن دوق نرفك توماس موبرى خائن لله ولملكه ولنفسه ، ويطلب إليه أن يتقدم لمبارزته .

القائم الثانى : فليقف هنا توماس موبرى ، دوق نرفك ، وسينزل به القصاص إذا كان كاذباً أو ناكثاً للعهد — يقف هنا

ليدافع عن نفسه ويثبت أن هنرى هرفورد ولنكسر ودربى خائن لله ولملكه ولنفسه ، وينتظر إشارة البدء فى النضال بشجاعة ورغبة أكيدة .

المشير : انفخ فى الأبواق ونسق المتبارزين (نفخ فى الأبواق) . قفا . فلقد رمى الملك هراوته[1].

رتشرد : مرهما بخلع خوذتيهما ورمى رمحيهما ورجوعهما إلى مقاعدهما ثانية (إلى أعضاء المجلس) ادخلوا معى ، واجعلوا الأبواق ترنم فى أثناء إعلان هذين الدوقين حكمنا فى شأنهما .

(ترنيم طويل من الأبواق)

(إلى الدوقين) اقتربا منى وأصغيا إلى ما قررته أنا وأعضاء مجلسى : إنه كى لا تدنس أرض مملكتى بذلك الدم الغالى الذى غذته رجالها ولأن عينى تكرهان أن تريافى منظر الدم المروع الذى تهريقه سيوف جيراننا فى المشاحنات بين بعضهم وبعض — ذلا لكبريائنا وأنفتنا السامقة التى ترقى إلى السماء . وطموحنا . مع كرهنا للحقد الذى منشؤه الضغينة . والذى جعلكما تهددان أمن هذه البلاد وطمأنينتها الهادئة والتى لم تتمتع بالسلم إلا مدة وجيزة والتى إذا ما أقلقها ضرب الطبول الصاخب المزعج المخيف ، وصليل الأسلحة الحديدية التى تؤز الأجسام أزا — وكل

(١) عصا يحملها الشخص الذى يرأس المبارزة

ذلك قد يسبب اضطراباً فى أرضنا المطمئنة وقد يجرنا إلى الخوض فى دماء ذوى قربانا — لذلك جميعه قررنا أن ننفيكما من بلادنا : . فأنت يا بن عمى هرفورد ستقضى عن بلادنا مدة عشر سنوات تتمتع فيها أرضنا بالخصب والنماء . وستقضى هذه المدة فى بلاد أجنبية . ولا تطأ قدماك أرضنا وإلا كان عقابك الإعدام .

بولنجبروك : سأنفذ إرادتك . وتكون سلواى أن الشمس التى تسطع عليك ستسطع على وأشعتها الذهبية هذه (مشيراً إلى الشمس) سترسلها وهاجة على وتسرنى فى منفاى .

رتشرد : وأما أنت يا نرفلك فقضائى فى شأنك أنكى وأقسى وإنى أنطق به على الرغم منى : ذلك أنه لن تنتهى الساعات البطيئة المرذولة ، والأيام القاسية المريرة التى ستقضيها فى المنفى ، فلقد أصدرت عليك حكم النفى المؤبد وإلا كان عقابك الإعدام .

موبرى : إنه لحكم قاس يا مولاى العظيم . ولم أكن أنتظر أن تقضى به جلالتكم . فلقد كنت أستحق جزاء أحسن من هذا منكم ، ولم يكن يدور بخلدى أن أطعن هذه الطعنة النجلاء التى قذفت بى فى الفضاء الشاسع . فسأهجر اللغة الإنجليزية ، لغة بلادى ، التى تعلمتها مدة أربعين سنة . وسيقصر لسانى عن أداء ما بنفسى ، إذ يكون مثله كمثل قيثارة خلت من أوتارها ، أوكآلة موسيقية صنعت

ووضعت فى حقيبتها بحيث لا يستطيع الضرب عليها إلا الموسيقى الماهر ، فأخرجها شخص لا يحسن إيقاع الأنغام . ولقد سجنت لسانى فى فمى وأحكمت إغلاق السجن بمترسين من أسنانى وشفتى ، وجعلت سجانى الجهل البليد القاسى العقيم . ولقد كبرت على الخضوع لحاضنتى وتقدمت بى السن عن أن أكون تلميذاً الآن . وأتلقى العلم من جديد ؛ فحكمك هذا هو قضاء على بالبكم الذى يمنع لسانى من أن يستنشق هواء بلاده .

رتشرد : عبثاً تحاول أن تندب حظك وتطلب الرحمة ، فهذا قضاؤنا ولا مرد له ، فنفذه .

موبرى : سأحرم إذن من ضياء وطنى وأعيش فى ظلام كئيب ليالى لا نهاية لها .

رتشرد : عودا وأقسما على عهديكما وضعا يديكما المنفيتين على قبضة سيفى الملكى ، وأقسما بواجبكما نحو الله — إذ لا ولاء لنا عليكما فى المنفى — أن تحفظا العهد الذى آخذه عليكما وتكونا صادقين لله فيه : ذلك ألا تتاحبا فى المنفى ، ولا تتقابلا ولا تتخاطبا ولا تتوددا ولا تتصافيا فينتهى ما بينكما من الخصام الذى كان منشؤه كراهية بعضكما لبعض ، وألا تتعمدا الاجتماع كى تكيدا لى أو تتآمرا على مملكتى أو رعاياى أو حكومتى .

بولنجبروك : أقسم .

موبرى : وأنا أقسم على تنفيذ ذلك .

بولنجبروك : يا نرفك : سأكلمك يا موبرى بقدر ما يسمح لخصم أن يخاطب عدوه : لو أن الملك رخص لنا بالمبارزة لذهبت روح واحد منا أدراج الرياح ، ولقضى على جسده الفانى ، ولكن جسدينا نفيا من هذه الأرض ، فاعترف بجريرتك وخيانتك قبل أن تغادر هذه البلاد . وبما أنك ستذهب بعيداً عنها فلا تحمل على عاتقك أثقال الروح الخاطئة التى سينوء بها كاهلك .

موبرى : لا يا بولنجبروك . لو أنى كنت خائناً فليمح الله اسمى من سجل الوجود وأحرم من رحمة السماء كما حرمت من رحمة الأرض ولكن دخيلة ما فى نفسك يعرفها الله وتعرفها أنت نفسك وأنا . وأظن أن الملك سيندم على عدم الفطنة لها ولات ساعة مندم . وداعاً سيدى الملك ، وسأذهب فى سبيلى أنى شئت ولن أعود إلى انجلتره . وسبيلى هو كل أقطار العالم . (يخرج)

رتشرد : (إلى جونت) يا عمى : أرى فى ملامح عينيك ما ينم عن قلب حزين . ومنظرك البائس يحملنى على أن أخفف مدة إبعاد ولدك وأنقصها أربع سنوات (إلى بولنجبروك) بعد أن تقضى ستة فصول من زمهرير الشتاء سأرحب بعودتك من المنفى .

بولنجبروك : ما أطول الوقت الذى تدل عليه كلمة نافذة واحدة (أربعة

فصول شتوية قاسية وأربعة فصول من الربيع) كلها تنم عنها كلمة واحدة ــ هذا هو شأن كلام الملوك .

جونت : شكراً لمولاى ، بيد أن نقص مدة نفى ولدى أربع سنوات لا يفيدنى إلا قليلا . إذ قبل أن تنقضى مدة السنوات الست التى قضى عليه فيها بالنفى ، سيجف زيت قنديل حياتى ولا يلبث أن يخبو نوره نظراً لشيخوختى وحزنى المستمر . وستحترق البقية الباقية من ذبالة القنديل ، وسيغمض الموت الأعمى عينى ولا أرى ولدى .

رتشرد : وكيف يكون ذلك يا عمى وأمامك سنون كثيرة فى الحياة !

جونت : لا يمكنك أن تزيد فى طولها دقيقة واحدة أيها الملك . ولكنك تستطيع نقصان أيامى بذلك الهم الثقيل وتغتصب ليالى منها . ويستحيل عليك أن تزيد فيها يوماً واحداً . وقد تستطيع أن تساعد الزمن فى أن يزيد فى تجعدات وجهى بالشيخوخة ولا تقدر أن تصد سيرها ، وستأتمر بأمرك فى موتى . ولكن إذا مت فلا يستطيع سلطانكم أن يردنى إلى الحياة .

رتشرد : لقد نفى ولدك بعد إمعان وروية ، وقد كنت من بين من أصدروا الحكم عليه . فلماذا تظهر التبرم بقضائنا ؟

جونت : إن الأشياء الحلوة الطعم تسبب سوء الهضم . فلقد ألححت على فى أن أكون قاضياً . ولكن كان خيراً لى لو أنك أمرتنى أن أدافع عنه بوصفى والداً . ولو أنه كان شخصاً أجنبياً

عنى وليس بولدى لالتمست له المعاذير فى ذنبه ، ولكنت أكثر رأفة فى عقابه . ولكنى توخيت ألا أرمى بالمحاباة . وقد قضيت على حياتى بالحكم عليه . واسوأتاه ! لقد انتظرت من أحدكم أن يقول إنى كنت قاسياً فى الحكم على ولدى ، ولكنكم تركتمونى أتشدد وتركتم لسانى بالرغم منه وبالرغم من إرادتى يسيئنى .

رتشرد : وداعاً يابن عمى ، ويا عمى ودعه لأنه سيقضى ست سنوات فى المنفى ويجب أن يرحل .

(ترنيم من الأبواق) — (يخرج الملك وحاشيته) .

أومرل : وداعا يا بن عمى . ومن لم يستطع معرفة ما آل إليه أمرى من غير الحاضرين سيعلمه من تصفح الأوراق .

المشير : لن أودعك يا سيدى لأنى سأرافقك راكباً إلى غاية ما أستطيع السير .

جونت : ما الذى ترمى إليه من اختزان كلماتك وتضن بكلمة وداع لأصدقائك .

بولنجبروك : قليل هم من أودع حتى أسرف فى كلماتى وأنفس عن نفسى المكروبة .

جونت : إن حزنك ما هو إلا عقابك بعض الوقت .

بولنجبروك : سأحرم السرور فى هذه المدة ويحل محله الحزن .

جونت : وما مدة ست سنوات ؟ إنها ستنقضى سريعاً .

بولنجبروك : قد يكون ذلك عند ما يكون المرء متمتعاً بالمسرات . ولكن

الحزن يجعل الساعة عشراً .

جونت : هبها سفرة تقضيها للترفيه عن نفسك .

بولنجبروك : سينهد قلبي ألماً وحسرة إذا أسميتها خطأ كذلك لأنه يشعر بأنها هجرة اضطرارية .

جونت : قدر أن مدة نفيك الكئيبة بمثابة معدن رخيص ستزداد قيمته عند ما ترصعه بجوهرة ، فتزداد قيمته رفعة كما تزداد قيمتك عند عودتك من المنفى إلى وطنك .

بولنجبروك : لا . والأولى أن أذكر أن كل خطوة مملة أخطوها تذكرنى كثيراً بالجوهرة (الوطن) التى نأيت عنها . أفلست مضطراً لأن أقضى وقتاً طويلا فى تلمس موطىء قدمى فى أرض أجنبية ، وفى النهاية عند ما أتمتع بحريتى لا أفخر بشىء سوى أنى كنت عاملا مأجوراً للحزن والهم .

جونت : كل الجهات التى تشرق عليها الشمس مرافىء أمينة للعاقل ، وملاجىء سعيدة له . فعلم ضرورتك بأن تدلى بهذه الحجة ، إذ لا فضيلة تعدل الحاجة . فلا تفكر فى أن الملك نفاك ، بل أنت الذى نأيت عنه : إن الحزن يكون أقسى إيلاماً للنفس عند ما ينوء به كاهل صاحبه . ارحل وقدر أنى بعثت بك لكسب الشرف ، وليس الملك هو الذى أبعدك . أو افترض أن أرضنا نزل بها وباء وبيل ، وأنت فار منه إلى أرض أطيب مناخاً ؛ وفكر فى كل شىء تعتز به وتصوره فى الوجهة التى أنت موليها ، وليس فى

الوجهة التى توليت عنها . وصور لنفسك العصافير المغردة موسيقيين . وأن الكلأ الذى تطؤه طنافس مبثوثة فى مجلس الملك . والأزهار التى تراها نساء جميلات ، ومشيك كأنه خطى رقص ، فإن الحزن المدلهم تقل قوة أثره عند ما يهزأ به صاحبه ويستقله .

بولنجبروك : ومن ذا الذى يستطيع أن يقبض على الجمر إذا فكر فى ثلج جبال القوقاز ؟ أو يسد شهوة الجوع الجامحة بتصور وليمة فخمة ؟ أو يتمرغ متجرداً فى ثلج ديسمبر بتخيله حرارة الصيف ؟ لا ! لعمرى إن إدراك الشىء الحسن يكثر من الألم عند الإحساس بالشىء السيء . فالوهم لا يستطيع أن يفعل الأعاجيب ويغير طبيعة الأمور ، وإن أنياب الحزن الحادة لا يكون عضها أكثر سما وفتكاً إلا إبان العض ، ولكنها لا تشفى بمبضع الجراح الجرح الذى أحدثه ذلك العض .

جونت : هيا . هيا . يا بنى سأصطحبك فى طريقك . ولو كان لى شبابك وأمانيك لنزحت عن هذه الديار .

بولنجبروك : إذن فأستودعك الله يا أرض انجلتره ، ويأيتها التربة الصالحة ، يا أمى وحاضنتى التى ما فتئت تشد أزرى ! وفى أى جهة أهيم فيها سأفخر على البعد بأنى انجليزى صميم .

المنظر الرابع

البـــــلاط

(يدخل الملك رتشرد وبجت وجرين من جهة ، وأومرل من الجهة الأخرى)

رتشرد : (متمماً حديثه) لقد لاحظنا ذلك يا بن عمى أومرل . ما أقصى جهة رافقت فيها هرفورد الشريف فى سبيله .

أومرل : رافقت هرفورد الشريف ، على زعمك ، حتى الطريق العام التالى ثم تركته وشأنه .

رتشرد : أخبرنى عن الدموع الغزيرة التى سكبتاهما عند الفراق !

أومرل : أما أنا فلم أذرف دمعة واحدة غير أن الرياح الشمالية الشرقية الحازمة كانت تهب فى وجوهنا فأيقظت عندى وعكة البرد التى كانت ساكنة وأثارت دموع عينى مصادفة فأسبغت دمعة على فراقنا الأسيف .

رتشرد : وما الذى قاله ابن عمى عندما فارقته ؟

أومرل : قال « وداعاً » وإذ كان قلبى يأبى على لسانى أن يتدنس بنطق هذه الكلمة ، فادعيت أن الألم لفراقه أعيانى عن النطق وبقيت كلمة الوداع مدفونة فى صدرى . على أنه من المؤكد لو أن هذه الكلمة كانت تطيل سنى بقائه فى المنفى لأسديت له الكثير منها ولكن بما أنها لن تفعل فضننت عليه بها .

رتشرد : هو ابن عمى يا بن عمى ، ولكنى أشك فى الوقت الذى ينتهى عنده نفيه ويخامرنى الشك فى أن قريبى هذا ستتاح له العودة لرؤية أصدقائه . لأنى وبشى وجرين الحاضرين هنا لاحظنا تودده للدهماء ، ولاح لنا أنه كان ينفذ إلى قلوبهم بتواضعه وآدابه معهم ومجاملاته لهم ، فلقد كان ينثر احتراماته على السفلة والطغام . ويكسب محبة الصناع ببسماته الجذابة وظهوره بمظهر الصابر على ما نزل به من المكروه وكان يريد أن يصحبه حبهم له فى المنفى (بعيداً عن رتشرد) فتارة كان يرفع قبعته احتراماً لبائعة المحار وتارة أخرى جثا على ركبتيه احتراماً لسائقى عربتيه عند ما دعوا له بالسلامة فى سفره وقال « أشكركما يا مواطنى ويا أصدقائى المحبين » كأن انجلتره ستكون له فى يوم من الأيام وأنه أمل رعاياى بعدى فى تولى الحكم .

جرين : دعك من هذا فلقد رحل ورحلت معه هذه الأفكار . والآن فيما يختص بالثائرين فى إيرلنده ، فإنه يجب القيام بالعمل السريع يا سيدى حتى لا يكون التأخير مدعاة لأن يمدوا بمعونات أكثر ، مما يشد أزرهم ، وينزل بجلالتكم الخسران المبين .

رتشرد : سنكون على رأس هذه الحملة . أما من جهة ماليتنا فلقد أفقرتها بعض الإفقار مرتبات الحاشية السخية التى وهبناها ، وسنضطر لرهن خراج أرضنا لنحصل على المال

للقيام بهذه الحملة ، فإذا لم يف ذلك فإنى سأفوض عمالى فى المملكة تفويضاً عاماً للحصول على الذهب الكثير من الأغنياء ويبعثون به لسد حاجتنا لأنى سأقوم إلى إيرلنده فى الحال .

(يدخل بشى)

ما وراءك يا بشى .

بشى : إن جونت الكهل مريض مرضاً خطراً يا سيدى ، ولقد نزل به المرض مفاجأة وأرسل رسولا على عجل يرجو جلالتكم زيارته .

رتشرد : وأين هو ؟

بشى : فى إيلى هوس .

رتشرد : فليوفق الله طبيبه للقضاء عليه سريعاً حتى نستطيع الحصول على أمواله التى ستمد جنودنا بالملابس اللازمة للحروب الإيرلندية . هيا يا سادة نذهب لزيارته ، وتوسلوا إلى الله أن يلقى هذا الرجل ربه قبل أن نصل إليه .

الجميع : آمين .

الفصل الثاني

المنظر الأول

لندن — إيلي هوس

(يدخل چون جونت مريضاً ومعه دوق يورك وآخرون)

جونت : هل يحضر الملك كي أصرف أنفاسي الأخيرة في نصائح مفيدة لشبابه الطائش ؟

يورك : لا تكدر نفسك ولا تجهد أنفاسك لأن نصحه يذهب عبثاً .

جونت : ولكنهم يزعمون أن كلمات الرجال في الاحتضار تسترعي الانتباه كما يسترعيه توقيع الأنغام الشجية . والكلمات القليلة قل أن تذهب عبثاً . وإن الحق يخرج من شفتي من يكون مكروباً . وكلما قل كلام المرء كان الإصغاء إليه أكثر من الإصغاء إلى أولئك الذين علمهم الشباب والدعة واللهو والعبث ألفاظ الملق والمداهنة ، وإن المرء بآخرته لا بأعماله في حياته السابقة . ألا ترى أن غروب الشمس ونهاية الموسيقى يكون لهما من الحلاوة ما لنهاية

طعم الحلوى التى تبقى مذكورة أكثر من الأشياء التى سبقتها منذ زمن بعيد . ولو أن رتشرد لم يستمع لنصائحى مدة حياتى فقد ينصت إلى قصة موتى وآلامها الممضة اللاذعة .

يورك : لا . فلقد أصمت أذنيه ألفاظ الملق الأخرى وهى التى تنطق بالمدح الذى يصبو إلى سماعه العقلاء ، والأشعار الداعرة التى تنفذ بصوتها السام إلى أذن الشباب ويغرم دائماً بالإنصات إليها ، والكلام عن عادات إيطاليا المرحة التى تسعى إلى محاكاتها أمتنا البطيئة فى عدم إيجاد تقاليد لنفسها والمسرعة فى تقليد الأمم الأخرى . وأية سخافة جديدة ظهرت فى العالم مهما كانت مرذولة لم يسرع فى نفثها فى أذنيه ؟ وحيثما تكن الميول والشهوات ثائرة على العقل فلا جدوى من إسداء النصح . فلا تحاول أن ترشد من كانت الغواية سبيله ، وأنت محتاج إلى أنفاسك وستصرفها هباء .

جونت : يخيل إلى أنى نبى ملهم حديثا وسأتنبأ عن حالته فى مستقبل أيامه وأنا على فراش الموت : إن رعونته وطيشه الملتهب لا يمكن أن يدوما لأن النيران المستعرة تسعرا شديدا سرعان ما تخمد من نفسها . إن الشؤبوب (الطل) يستمر مدة طويلة والوابل الفجائى قصير المدى . وإن من يسرع فى جريه لا يلبث إلا أن يعتريه التعب سريعاً ، ومن يلتهم طعامه

بنهم يغص به ، وإن الطيش ورعونة النفس التى لا تهتم بما هو صالح وواجب فى الحياة لا تلبث على كر الأيام إلا أن تضيق ذرعاً بالحياة الحافلة بفنون الملاذ وأنواع النعيم وفى النهاية تشمئز منها وتقلع عنها .

هذه الجزيرة عرش الملوك وصولجانهم ، وهذه الأمة الجليلة مقر الشجعان والبسلاء . وجنة عدن الأخرى ، والقلعة (البحر) التى شيدها الله كى تذود عنها الطاعون والحرب ، وهذه البقعة ذات الأبطال السعداء . وهذه الدنيا مختصرة ، وهذه الجزيرة التى تشبه حجراً كريماً مرصعاً فى بحر فضى — وهذا البحر الذى يحميها (كما يحمى الخندق المنزل) من الاعتداء عليها من بلاد حاقدة وأقل هناءة منها ، هذه البقعة المباركة ، وهذه التربة الصالحة . وهذه الدولة . وهذه البلاد الانجليزية التى احتضنت وأنبتت كثيراً من الملوك العظماء الذين كانت تخشى صولتهم لباذخ حسبهم ، والذين اشتهروا بكرم أرومتهم وبفروسيتهم الصادقة وحروبهم الدينية[1] بعيداً عن أوطانهم فى الاستيلاء فى بلاد اليهود على قبر المسيح بن مريم المباركة والذى أرسل لإنقاذ العالم . هذه الأرض التى يقطنها هؤلاء الرجال الغر الميامين ، هذه الأرض الغالية ، الغالية التى تعتز بشهرتها فى جميع أقطار العالم قد أجرت — أقول هذا

(١) الإشارة هنا للحروب الصليبية

وأنا على وشك الموت – قد أجرت مثل أية ضيعة صغيرة . وانجلترة التي يحميها البحر من غزو الأقطار الأخرى ، وفي الوقت نفسه تصد صخورها هجوم البحر المتمرد عليها ، قد أصابها الآن العار لأن أرضها أجرت بعقود مكتوبة على رق مبتذل . وانجلترة التي اعتادت أن تقهر غيرها قد قهرت نفسها قهراً فاضحاً . ويا ليت هذا العار ينتهي بانتهاء أجلي فأكون سعيداً إذن في مماتي !

(يدخل الملك رتشرد والملكة وأومرل وبشي وجرين وبجت وروس وولوبي) .

يورك : لقد حضر الملك فأحسن معاملة شبابه لأن المهر الصغير حينما يستحث تزداد ثورته وجموحه .

الملكة : كيف حال عمنا العزيز لنكستر .

الملك : أي ساوي أقدمها لك أيها الرجل ؟ وكيف حال جونت العجوز ؟

جونت : ما أكثر ما يلائم هذا الوصف حالتي ؟ جونت[1] العجوز حقاً وقد أصبح نحيلا رقيق الجسم لأن الحزن الكامن في نفسه جعله يصوم صوماً قاسياً . ومن ذا الذي لا يصبح نحيلا إذا ما أقلع عن أكل اللحم ؟ لقد راقبت انجلترة المتراخية مدة طويلة ، وهذه المراقبة كانت تسبب نحول جسمي وبذا صرت كلي هزيلا ، والسرور الذي يتغذى

(١) كلمة gaunt بالانجليزية معناها النحول والهزال

به بعض الآباء (وهو رؤية وجوه أطفالهم) محروم منه وصائم عنه وبهذا الحرمان قد أصرتني هزيلا ، هزيلا لدخول القبر ، وهزيلا كالقبر لا تستولى حفرته الغائرة على شيء مني سوى العظام .

الملك : وى ! أفى استطاعة الرجال المرضى اللعب بالألفاظ بهذه المهارة ؟

جونت : إنه البؤس وليس المرض كما تظن هو الذى يلهمنى اللعب بالألفاظ . وبما أنك أردت أن تقتل اسمى فى شخصى (كأن اسمه يموت بموته لأن ولده منفى) فإنى أهزأ بإسمى لأتملقك أيها الملك العظيم .

الملك : هل ينبغى أن يتماق الناس الذين على وشك الموت الأحياء؟

جونت : لا ، لا . إن الأحياء هم الذين يتملقون من هم على فراش الموت .

الملك : ولكنك وأنت فى الاحتضار تقول إنك تتملقنى .

جونت : لا . إنك أنت الذى فى الاحتضار ولو أنى أكثر مرضاً منك .

الملك : إنى متمتع بالصحة ، وأتنفس وأراك على وشك الموت .

جونت : يعلم الله الذى خلقنى أنى أراك مريضاً مرضاً أدبياً ، ولو أن عينى كليلتان فإنى ألحظ المرض فى نفسك ، وأن فراش موتك هو كل أرض بلادك التى ترقد عليها بشهرتك . وأنت المريض المهمل تعهد بعلاج جسمك الممسوح بالزيت

المقدس إلى الأطباء الذين أصابوك بالداء بادئ بدء . إن ألف مداهن يجلسون فى ثنايا تاجك . ومع أن هؤلاء يقبعون فى هذا الحيز الضيق فإن ما يقوم به هؤلاء المتملقون يصيب القطر كله . ويا ليت جدك (ادوارد الثالث) رأى بثاقب بصره وتنبأ كيف أن ابن أخيه سيدمر رعاياه إذن لاستأصل عارك بأن حرمك مما توليته قبل أن تتولاه . ولو أنك يا بن الأخ كنت قائماً بشئون الدنيا جميعها لوجدت من العار أن « تؤجر » هذه الأرض . أفليس من الفضيحة أن تجلب الفضيحة عليها ؟ إنك رب أرض انجلتره ، ولكنك لست ملكها ، وإنك الآن وقد أجرت أرضها صرت خاضعاً للقوانين مثل أى فرد نظراً للعقود التى أقررتها . وأنت . . .

الملك : إنك رجل أبله بليد وتعتمد على تسامحى بسبب المرض ، فتجرؤ بتأنيبك المزرى أن تصعد الدم إلى وجنتى ، وتدفع بدمى الملكى إلى أن يثور من مرقده . فبحق عرشى الملكى ، وتاجى الجليل لو أنك لم تكن أخا ابن ادوارد العظيم لكان هذا اللسان الذى ينساب بدون اكتراث بين شدقيك سبباً فى أن يزيل رأسك عن كتفيك .

جونت : إذن فاقض على يا بن أخى إدوارد لأنى كنت ابن ادوارد الذى سكرت بدم قلبه كما تفعل البجعة الصغيرة[1] فإن

(١) يقال إن البجعة الصغيرة تتغذى بدم قلب أمها

سفك دم أخي جلوستر ، ذلك الفتى البريء المخلص الذى أرجو له طيب المقام فى دار الخلد مع السعداء الصالحين ، قد تكون سابقة وتشهد شهادة ناطقة على أنك لا تخشى سفك دماء سلالة ادوارد . أضف إلى هذا ما أنابه من المرض الآن وبذا أصبحت قسوتك تعادل قسوة الشيخوخة التى تحنى الظهر . إذن لقد قضيت على كما يقضى على زهرة طال ذبولها . فعش ملطخاً بعارك ولا ينقضى هذا العار بانقضاء أجلك ، ولتكن كلماتى هذه هى سياط عذابك فيما بعد .

انقلونى إلى فراشى ثم إلى قبرى . فليحى من يحب الحياة وهم الذين ديدنهم الحب والشرف .

(يخرج يحمله تابعوه)

الملك : فليمت من شاخ واستولت عليه الشيخوخة المشاكسة فإن عندك منهما ، وهما لائقتان بالقبر .

يورك : أرجو ياصاحب الجلالة أن تنسب كلماته إلى مرضه القاسى وشيخوخته ؛ فقسما بحياتى إنه يحبك ويعتز بك كما يعتز بولده هنرى دوق هرفورد لوكان معه .

الملك : نعم . لقد قلت صدقاً إنه يحبنى كما يحبنى هرفورد وحبهما لى يضارع حبى لهما ، وستبقى الحالة كما هى .

(يدخل نرثأمبرلند)

نرثأمبرلند : يا سيدى إن الشيخ جونت يستودع جلالتكم .

الملك : وما الذى قاله ؟

نرثأمبرلند : لا ، لم يقل شيئاً ، لقد انتهى كلامه وأصبح لسانه كآلة موسيقية بدون أوتار. وقد فقدت كلماته وحياته وكل شيء فيه ، ومات لنكستر .

يورك : يا ليتنى ثانى من ينفد ويفلس من الحياة ، لأنه مع أن الموت سيء فإنه يزيل الحزن الفتاك .

الملك : إن أنضج الثمر يسقط أولا . وكذلك كان شأنه ، ولقد نفدت حياته ولم ينقض أجلنا بعد . هذا فيما يخص هذا الأمر. أما من جهة حروبنا فى إيرلنده فيجب أن نتخلص من أولئك الجنود الإيرلنديين الراجلين ذوى الشعور الشعثة الذين يعيشون كالأفاعى حيث لا توجد الأفاعى(١) ولكنهم يتمتعون بالحياة فحسب .

ولما كانت أعمال هذه الحرب العظيمة تستدعى بعض النفقات لمعاونتنا فإننا قررنا الاستيلاء على ما يملكه عمنا جونت . من الأوانى الفضية والذهبية والمال وإيراده ومنقولاته .

يورك : إلى متى أصبر ؟ هل يحملنى واجب الأدب على تحمل الضيم ولا أحتج على أفعالك الظالمة ؟ فلا موت جلوستر ولا نفى هرفورد ولا معاملتك الفظة لجونت . ولا الضيم والحيف الذى لحق بانجلتره . ولا منع بولنجبروك من

(١) إشارة إلى أن القديس سنت بترك St. Ptarick استأصل الأفاعى من إيرلنده

الزواج . ولا العار الذى لحقنى – لم يجعلنى كل ذلك أن أتجهم لك ولا أعبس فى وجه ملكى . إنى آخر أولاد ادوارد الشريف الذى كان والدك أول أولاده وولى عهده . وكان فى القتال الأسد الضرغام فى شجاعته وفى السلم أكثر وداعة من الحمل – وذلك كان شأن ذلك السيد الصغير الملكى النبيل . ووجهك يشبهه لأن قسماته كانت كقسماتك فى سنك . ولكنه لم يعبس وتتقلص أسارير وجهه إلا فى وجه عدوه كما فعل مع الفرنسيس . وكان بشيشاً فى وجه أصدقائه . وينفق ما كسبته يداه لا مما استولت عليه يد والده المنتصرة . ولم تلوث يداه بدم أحد أقربائه ولكنه كان يسفك دم أعداء أقاربه . وى رتشرد ! لقد أخذ الأسى من يورك كل مأخذ وإلا لما سمح لنفسه أن يوازن بين الملك ووالده .

رتشرد : وى عمى ! ما الأمر ؟

يورك : يا سيدى تكرم وسامحنى . وإذا لم تتكرم بذلك فإنه عندى سيان . أفلم تستول على أموال هرفورد وحقوقه ؟ أفليس جونت قد سويت به الأرض ؟ وأليس هرفورد حياً ؟ أفلم يكن جونت عادلا ؟ أفلم يكن هرفورد مخلصاً ؟ أفلم يستحق جونت أن يكون له وارث ؟ أفليس وارثه ابناً جديراً كل الجدارة ؟ فإذا حرمت هرفورد حقوقه حرمت الزمن من حقوقه المكتسبة المرعية (لأن الزمن يقضى بأن

يكون الولد وارثاً لأملاك والده) فامنع الغد من أن يطلع على اليوم ، وأنكر نفسك لأنك لم تصر ملكاً إلا بتعاقب الأيام ، ووراثه العرش وراثة صحيحة .

والآن أمام الله . وبودى ألا يحقق الله ظنى — إذا اغتصبت حقوق هرفورد ظلماً . وألغيت الأوامر الرسمية التى بمقتضاها حصل على هذه الحقوق . ومنعت موكله أن يطلب بمقتضى القانون أملاكه ورفضت أن تسلم بما يطلبه هذا الموكل فإنك تعرض نفسك لبطش ألف خنجر ستسل للقضاء عليك . وتفقد طاعة ألف رجل من الموالين لك وتجعلنى أفقد صبرى الشفيق وأفكر فى أشياء لا ينم عنها الشرف أو الولاء .

الملك : فكر كيفما شئت فسنستولى على أوانيه الفضية والذهبية ومتاعه ونقوده وأرضه .

يورك : لن أكون بالقرب منك عندئذ وأستودعك الله . ولا يمكن أن يتنبأ أى فرد بما قد يحصل . غير أن السبل السيئة لن تؤدى على وجه التأكيد إلا إلى نتائج وخيمة العاقبة .
(يخرج)

الملك : اذهب يا بشى إلى إرل ولتشر (وزير المالية) حالا ومره أن يحضر إلينا إلى إيلى هوس لينفذ هذا الأمر . وسنرحل بعد غد إلى إيرلنده وأظن أنه قد حان الوقت لذلك . وسأنيب عنى فى غيابى عمى يورك فى حكم انجلتره إذ أنه رجل

.شريف فى كل ما يتولاه . وكان يحبنا دائماً . هيا يا ملكتى لأننا يجب أن نفترق فى الغد فكونى مبتهجة لأن مدة إقامتنا بعيداً قصيرة .

(ترنيم من الأبواق . يخرج الملك والملكة وأومرل وبشى وجرين وبجت)

نرثأمبرلند : أيها اللوردات لقد مات لورد لنكستر .

روس : وما زال يعيش لأن ولده الآن أصبح دوقاً .

ولوبى : له اللقب فحسب ولكن ليس له المال .

نرثأمبرلند : كان يجب أن يكون متمتعاً تمتعا حسناً بالاثنين لو أخذ العدل طريقه .

روس : إن قلبي متأثر عظيم التأثر . ولكن يجب أن أكتم تأثرى بالصمت ولا أسمح للسانى ليعبر تعبيراً صريحاً عما يكنه فؤادى .

نرثأمبرلند : صرح بما فى نفسك ، وليصب البكم كل من يبوح بكلماتك كى يضرك .

ولوبى : هل تقصد الكلام عن دوق هرفورد ؟ إذا كان الأمر كذلك فتكلم بكل شجاعة أيها الرجل . وأسرع وكلى آذان مصغية لأسمع عن أى شىء فى صالحه .

روس : ليس عندى من الشىء الصالح ما أستطيع أن أقوله عنه اللهم إلا إذا أسميت التأسى عليه عملا صالحاً إذ قد حرم أملاكه واغتصب ميراثه .

نرثأمبرلند : أقسم بالله إنه لمن العار أن يلحق الظلم بهذا الأمير العظيم ، وغيره من الأشراف فى هذه البلاد الذين أخذوا فى الانهيار من سماء مجدهم ؛ والملك تغيرت أحواله وأصبحت تؤثر فيه تأثيراً سافلا طغامة من المداهنين . وكل ما يوعزون به إليه عن أى فرد منا ، حقداً أو كراهية ، يصغى إليه وينفذه فى أنفسنا وأطفالنا وورثتنا .

روس : لقد أرهق الشعب بفرض ضرائب باهظة فاستيئس ، وفرض الغرامات على الأشراف من أجل مشاحنات قديمة فيئسوا من عدله .

ولوبى : وفى كل يوم تخترع اغتصابات جديدة « مثل العقود الممهورة[1] على بياض » والتبرعات الخيرية وغيرها مما لا أذكره فبالله عليكم فيم صرفت هذه الأموال ؟

نرثأمبرلند : لم تصرف فى الحروب لأنه لم يحارب وخضع خضوعاً مرذولا لأى صلح كان يحصل عليه أسلافه بالنضال ولقد بذل فى هذه المسالمات أكثر مما بذلوه فى الحروب .

روس : لقد استأجر إرل ولتشر (وزير المالية) أرض الدولة .

ولوبى : لقد أفلس الملك مثل أى تاجر أصابه الإفلاس .

نرثأمبرلند : لقد أصابه الدمار المخزى .

روس : ليس عنده مال للحروب الإيرلندية مع الضرائب الباهظة

---

(١) عقود يمضيها الغنى وتترك قيمة المبلغ الذى سيطالب بدفعه ليملأها عامل الملك بحسب ما يراه

التى فرضها إلا أن يسرق أموال الدوق المنفى .

نرثأمبرلند : قريبه الشريف ؟ ما أحطه من ملك ! ولكنا أيها اللوردات نسمع زئير هذه العاصفة ، ولا نسعى فى إيجاد ملجأ نأوى إليه لنتجنب الزوبعة ، ونرى الرياح الهوجاء تمزق قلاع سفينتنا ولا ننزلها ، ونأخذ العدة لنجاح أنفسنا بل نموت ضحية إهمالنا .

روس : نرى الغرق الذى يهددنا ، ولا نستطيع درء الخطر عن أنفسنا لأننا لم نأبه بالأسباب التى أدت إليه .

نرثأمبرلند : ليس الأمر كذلك ، إذ أنه فى آخر رمق ، ولو أن الحال تظهر ميئوساً منها فإنى أرى شعاع الأمل فى النجاة . بيد أنه لا يمكن أن أقطع بمدى صحة الأخبار التى قد تسرّى عنا .

ولوبى : شاركنا فى أفكارك كما نشاركك نحن فى أفكارنا .

روس : كن واثقاً وتكلم يا نرثأمبرلند . فإنا نحن الثلاثة : على رأيك فى هذا الأمر ، وإذا أفصحت فإن كلماتك فى مأمن مثل أفكارك ، فتجرأ إذن وأفصح .

نرثأمبرلند : إذن فهاكم : لقد وصلنى نبأ من ميناء لابلانك (فى بريتانى بفرنسا) أن هنرى دوق هرفورد وريئلد لورد كبهام وابن رتشرد رندل الذى فر من منزل دوق إكستر وأخاه أسقف كنتربرى السابق وسير توماس ابرنجهام وسير جون رمستن وسير جون نربى وسير روبرت ووترتن وفرنسس كوانت — قد أمدهم دوق بريتانى بثمانى سفن كبيرة وثلاثة

آلاف مقاتل ، وهم جميعاً قادمون هنا على جناح السرعة العظيمة ، وعما قريب سينزلون على شواطئنا الشمالية . وقد يكونون قد وصلوا قبل الآن وينتظرون رحلة الملك إلى إيرلنده . فإذا كان الأمر كذلك فسننفض عن عاتقنا نير الرق ونصلح ما فسد ونداوى جناحنا المهيض ، ونخلص من الرهن تاجنا ومن الوصمة التى أصابته ، ونمسح عن ذهب صوبجاننا الثرى الذى لطخه . ونجعل الملك يظهر فى هيبته التى تليق به . فهيا بنا إلى رافنسبرج ، وإذا تلكأتم خوفاً فابقوا محتفظين بالسر وسأذهب أنا نفسى .

روس : الخيل . الخيل ! إن الشك لا يخامر إلا الخائفين .

ولوبى : هيا وإذا لم يصب جوادى التعب فسأكون أول من يصل إلى هناك . (يخرجون)

المنظر الثانى

برج وندسور

(تدخل الملكة وبشى وبجت)

بشى : سيدتى إن جلالتك حزينة حزناً عظيماً أكثر مما ينبغى . ولقد وعدت عند فراقك الملك أن تنفضى عنك أعباء الحياة الثقيلة وأن تتمتعى بصفو الحياة .

الملكة : وعدت بذلك إرضاء للملك ، ولكنى لا أستطيعه إرضاء لنفسى . ولا أدرى لماذا ينتابنى الهم الذى ليس له سبب إلا توديع رجل لطيف مثل زوجى رتشرد . غير أنه يخيل إلى أن هما يختمر ويخبئه القدر ، وأشعر أنه قادم نحوى وتضطرب له نفسى فهى حزينة إذن من أجل أمر أكثر جللا من ألم توديع سيدى الملك .

بشى : كل حزن حقيقى له مما يقلده عشرون خيالا منه يشبهه بدون أن يكون حقيقياً . فإن عين الحزن التى تطمسها الدموع ترى الحزن مضاعفاً كالعين المجردة عند ما يعشى بصرها من الرطوبة فترى الشىء أضعافاً مضاعفة . ومثلها مثل الصور المضللة التى عند ما تنظر إليها من أمامها لا ترى إلا صوراً مرتبكة ، فإذا نظرت إليها من جانبها رأيتها على حقيقتها وهذا هو شأن جلالتك فإنك تنظرين إلى رحيل سيدك نظرة ملتوية فتجدين أشكالا من الحزن أكثر من حقيقتها وتندبين حظك ، ولكن إذا نظرت إليه فى حقيقته وجدت أوهاماً خيالية فإذن يا ملكتى الرحيمة العظيمة الرحمة لا تكتئبى لشىء أكثر من رحيل سيدك إذ ما من سبب غيره . وإذا وجد سبب فإنه خيال كاذب لعين حزينة تبكى من أجل أشياء خيالية تتصورها حقيقية .

الملكة : قد يكون الأمر كذلك ، ولكن قرارة نفسى تحملنى على

تصور أنه يخالف ذلك . ومهما كان الأمر فإنى لا أستطيع إلا أن أكون حزينة وحزينة جداً . على أنى عند ما أستغرق فى التأمل لا أتصور تصوراً واضحاً وقع أى مصاب ومع ذلك تخور قواى وأضعف .

بشى : إنه لا شيء سوى الخيال يا سيدتى اللطيفة .

الملكة : إنه ليس مجرد خيال لأن الحزن المتخيل ينشأ من حزن سبقه ، وهذا ليس شأنى ، فإنه لا شيء سبب حزنى هذا أو أن شيئاً سببه غير معلوم لى . والحزن المستولى علىّ الآن استيلاء حقاً سابق لأوانه لأنه لا حق لى فى أن أشعر بحزن حتى يحصل ما يسببه .

(يدخل جرين)

جرين : فليحفظك الله يا جلالة الملكة . مرحباً يا سادة . أرجو ألا يكون الملك قد رحل إلى إيرلنده .

الملكة : ولم رجاؤك هذا ؟ كان خيراً أن ترجو رحيله . لأن ما يقصد إليه يقتضى العجلة . وفى عجلته حسن الأمل . فلماذا إذن ترجو عدم رحيله ؟

جرين : إن أملى كان في أن يعيد جيشه من هناك ليقضى على آمال عدو أغار على هذه الأرض بقوة عظيمة . فلقد عاد بولنجبروك من المنفى ووصل سالماً إلى رافنسبرج بجند عظيم مسلح .

الملكة : لا سمح الله بذلك .

جرين : يا سيدتى إن الخبر صحيح وأسوأ مما ذكرت ، أن لورد نرثأمبرلند وولده الصغير هنرى برسى واللوردات روس وبومند وولوبى وجميع أصدقائهم الأقوياء قد فروا وانضموا إليه .

بشى : ولماذا لم تذع على الملأ خيانة نرثأمبرلند وغيره من الثوار .

جرين : لقد حصل ذلك ، وعنده كسر إرل ورشستر «عصا» وظيفته بوصفه رئيساً للندل واستقال منها وفر ومعه جميع الخدم إلى بولنجبروك .

الملكة : إذن فأنت يا جرين « مولدة » حزنى ، وبولنجبروك ابن هذا الحزن ، والآن قد ولدت روحى « أعجوبتها » .

بشى : لا تيئسى يا سيدتى .

الملكة : وما الذى يمنعنى من ذلك . سأيئس وأكون عدوة للأمل الخداع فإنه متملق ، طفيلى يؤخر الموت ويبطىء قضم عرى الحياة ، تلك الحياة التى يجعلها الأمل الكاذب تطول وتبقى وتعيش متضايقة .

جرين : هاك دوق يورك قادماً .

الملكة : وعلى جسمه الكهل أمارات الحرب وعلى وجهه أمارات الاهتمام .

(يدخل يورك)

بالله عليك تكلم كلمات تجبر قلبى وترفه عن نفسى المكروبة

يورك : لو أنى قلت ذلك لكذبت على نفسى . إن تفريج الهموم

فى السماء ونحن على الأرض التى ليس عليها سوى المتاعب والهموم والأحزان . إن زوجك رحل لينقذ البلاد البعيدة فى حين أن غيره أتوا ليخسروه الوطن . ولقد تركت هنا لشد عضده ، أنا الذى أضعفتنى السن ولا أستطيع شد أزر نفسى . وقد حانت الآن الساعة العصيبة التى جلبها إسرافه على نفسه ، وسيمتحن مقدار إخلاص أولئك الذين داهنوه وتملقوه .

(يدخل خادم)

الخادم : لقد برح ولدك قبل مجيئى .

يورك : هل حصل هذا ؟ فليكن الأمر كذلك وليذهب الجميع حيث يشاءون ! فلقد فر الأشراف والعامة غير مكترثين ، وقد يثورون ويؤيدون هرفورد . أيها الخادم اذهب إلى أختى دوقة جلوستر فى بلاشى واطلب منها أن ترسل لى ألف جنيه . وهاك خاتمى .

الخادم : سيدى ، لقد نسيت أن أخبر سيادتكم أنى مررت على منزلها اليوم عند مجيئى ولكن يؤسفنى أن أنبئك ببقية الخبر .

يورك : ما هو أيها الوغد ؟

الخادم : ماتت الدوقة قبل قدومى بساعة .

يورك : رحماك يا ربى ، ما أكثر أخبار السوء المتدفقة على هذه الأرض البائسة مرة واحدة ! إذ قد ضاع صوابى . يا ليت الملك قطع رأسى مع رأس أخى على شريطة ألا يكون

عدم ولائى له هو الذى دفعه إلى ذلك ! أليس من رسل تسافر إلى إيرلنده ؟ وإلا كيف نحصل على المال لهذه الحرب ؟ هيا يا أختى — أو بالأحرى يابنة أخى — اصفحى عنى .

(إلى الخادم) اذهب أيها الفتى إلى موطنى وأعد لى عربات وأحضر ما هنالك من السلاح . (يخرج الخادم)

أيها السادة ، هل لكم أن تذهبوا وتحشدوا الرجال . وقد لا تصدقوننى مطلقا إذا قلت لكم إنى لا أعرف وسيلة إعطاء الأوامر فى هذه الأمور أو تنظيمها — هذه الأمور التى دفعت إلى دفعا مختلا غير منتظم . إن كليهما تربطنى به أواصر القربى . وأحدهما مليكى الذى يأمرنى عهد الولاء له ، والواجب ، بالدفاع عنه ، والآخر من ذوى قرباى الذى ظلمه الملك . ويأمرنى ضميرى وقرابتى له أن آخذ الحق له . هيا يا بنة أخى لآخذك إلى جهة تكونين فيها آمنة مطمئنة .

أيها السادة احشدوا رجالكم وقابلونى سريعاً فى بركلى . وسأذهب إلى بلاشى أيضاً . ولكن الوقت لا يسمح ، وكل شىء غير مستقيم والأمور مضطربة .

(يخرج يورك والملكة)

بشى : إن الجو ملائم لإرسال الرسل بالأخبار إلى إيرلنده غير أنه لم يأت أحد منها .

ومن المستحيل حقاً أن نجند جيوشاً متناسبة مع قوة العدو.

جرين : هذا فضلا عن أن صلة مودتنا للملك تجعلنا مكروهين من الشعب مبغضين .

بجت : وهؤلاء هم العامة المترددون المذبذبون لأن حبهم خاضع لأموالهم ، ومن يأخذ منهم نقودهم يملأ قلوبهم بالكره المميت الذى مقداره مبلغ ما أخذه منهم .

بشى : وبذلك كان الملك فى نظرهم عامة مذنباً ، مداناً .

بجت : ولو أن القضاء بيدهم لأدانونا نحن أيضاً لأننا دائماً كنا مقربين للملك .

جرين : فليكن ما يكون . سأذهب للالتجاء فى قلعة برستل ، فإن ارل ولتشر وصل الآن هناك .

بشى : سأذهب معك ، لأننا لا ننتظر أية مساعدة من الدهماء المملوءة قلوبهم حقداً وحنقاً إللهم إلا أن يكونوا كلاباً ويمزقونا إرباً إرباً . فهل تذهب معى يا بجت

بجت : سأذهب إلى إيرلنده لجلالة الملك . فوداعاً ، وإذا كان ما أشعر به من نذير نفسانى ليس عبثاً فسنفترق نحن الثلاثة ولن نجتمع مرة أخرى .

بشى : هذا يتوقف على نجاح يورك فى صد هجوم بولنجبروك .

جرين : واحسرتاه لهذا الدوق المسكين ، فإن مثله فيما أخذه على عاتقه من العمل الجسيم كمثل من يحصى حب الرمال

أو يشرب ماء المحيطات حتى تجف ، فإن كل جندى مقاتل فى صفوفه يفر منه نظيره ألف . وداعاً ، وداعاً لصداقتنا ، وداعاً لحياتنا .

بشى : قد نتقابل مرة ثانية .

بجت : أخشى أن ذلك لن يكون أبداً .

(يخرجون)

المنظر الثالث

بَرَارى فى جلوستشر

(يدخل بولنجبروك ونرثأمبرلند ومعهم جنود)

بولنجبروك : كم تبعد عنا ، يا لورد ، بركلى الآن ؟

نرثأمبرلند : صدقنى يا سيدى النبيل ، إنى أجنبى عن جلوستشر ، وهذه الجبال الوعرة ، والطرق الخشنة غير المعبدة تطيل مسافة سفرنا وتجعلها مملولة ، متعبة ، مضنية ، على أن حديثك العذب جعلها كالسّكر فصارت الطريق الصعبة حلوة لذيذة ، ولكن يخيل إلى أن متاعب الطريق من راڤنسبرج إلى كتسولد ناجمة عن رغبتك سريعاً فى رؤية روس وولوبى اللذين يشتاقان لمصاحبتك . وهذه الرغبة جلعتنى أنسى متاعب هذا السبيل الطويل . ولكن متاعبهما يرفه عنها الأمل بالاستفادة من مرافقتك التى أتمتع بها الآن . والأمل

فى التمتع بالسرور أقل قليلا من بلوغ الأمل بالسرور . وبهذا الأمل سيجعل هذان اللوردان المتعبان طريقهما يلوح قصيراً كما جُعل طريقى بمشاهدة من معى ورفقة جلالتكم الشريفة .

بولنجبروك : إن مرافقتى أقل قيمة من كلماتك الطيبة . ولكن من القادم ؟

نرثأمبرلند : إنه ولدى هنرى برسى الصغير وقد أرسله أخى ورشستر وقتاً ما

(يدخل برسى)

كيف حال عمك يا هنرى ؟

برسى : لقد فكرت يا سيدى أن أستفسر عن صحته منك .

نرثأمبرلند : ولماذا ؟ أليس هو مع الملكة ؟

برسى : لا يا سيدى اللورد الطيب ، فلقد هجر البلاط واستقال من وظيفته وسرح تابعى الملك .

نرثأمبرلند : وما هى أسباب ذلك ؟ فلم يكن قد صمم فى شيء من هذا عند ما تحادثنا أخيراً .

برسى : لأن سعادتك أعلنت خيانته . ولكنه يا سيدى ذهب إلى راڤنسبرج ليقدم نفسه لخدمة دوق هرفورد ، وأرسلنى إلى بركلى لأتقصى عدد الجنود الذين جمعهم دوق يورك هناك ، ثم أذهب بعدها إلى راڤنسبرج .

نرثأمبرلند : هل نسيت أيها الفتى دوق هرفورد ؟

برسى : لا يا سيدى المبجل لأن الإنسان لا ينسى شيئاً لم تعه ذاكرته ، ومبلغ علمى أنى لم أره فى حياتى مطلقاً .

نرثأمبرلند : إذن فتعرف به الآن . هذا هو الدوق .

برسى : سيدى الكريم ، أقدم لك خدمتى على ما بها من الرقة والصغر ونقص الدربة ، ولكنها ستجود على كر الأيام فتستأهل أن تقدم خدمة مستحسنة مشكورة .

بولنجبروك : أشكرك يا برسى اللطيف ، ولا تسعد نفسى بشىء أكثر من تذكر أصدقائى الكرام . وإذا ما نضج حظى بحبك فسأذكر دائماً بأن أعوضك عن حبك المخلص . وإنى أعاهدك على هذا وأقدم لك يدى لتأكيد عهدى (يمسك بيده) .

نرثأمبرلند : كم تبعد بركلى ، وأى اضطراب هناك يقف فى سبيل هذا الشيخ الوقور يورك وجنوده ؟

برسى : هناك تقع القلعة بالقرب من أجمة الأشجار وبها ثلثمائة رجل على ما سمعت ، وبها اللوردات يورك وبركلى وسيمور ، ولا يوجد غيرهم ممن لهم شهرة أو شرف الذكر .

نرثأمبرلند : ها هما ذان ، لوردا روس وولوبى ، وقد صعد الدم فى وجنتيهما من حذّ السير واحمرتا من العجلة

(يدخل روس وولوبى)

بولنجبروك : مرحباً أيها اللوردان ، إنى أعلم أن حبكما جعلكما تتبعان خائناً منفياً . وكل ما فى خزانتى هو شكر لا قيمة له ،

ولكن إذا زاد غناؤها فسنعوضكما عن حبكما ومتاعبكما .

روس : إن وجودك يجعلنا أغنياء يا أشرف اللوردات .

ولوبى : ويفوق متاعبنا التشرف بطلعتك .

بولنجبروك : شكراً أكثر من ذى قبل . إن خزينة مالى الآن خاوية الوفاض ، ولكن عند ما أصل إلى غرضى سأعبر عن كرمى . لكن من القادم إلى هنا ؟

نرثأمبرلند : إنه فيما أظن لورد بركلى .

(يدخل لورد بركلى)

بركلى : سيدى لورد هرفورد ، رسالتى إليك .

بولنجبروك : على رسلك ، رسالتك موجهة إلى لورد لنكستر . وقد عدت إلى انجلتره كى أحصل على هذا اللقب ولا بد أن يجرى على لسانك قبل أن أجيبك عن أى شيء تذكره .

بركلى : لا تخطئ مرادى يا سيدى فلم أقصد أن أحذف أى لقب شرف لك .
أتقدم إليك أيها اللورد – أى لورد تريده – من أكرم نائب ملك هذه الأرض ، ألا وهو دوق يورك ، لأعرف عن الذى أثارك لتغتنم فرصة غياب الملك ، وتقلق هدوءنا بهذا الجيش اللجب الذى جردته وأنت المسئول عنه .

بولنجبروك : لا حاجة لك بأن تنقل كلماتى إليه فها هو ذا قادم بنفسه .

(يدخل يورك ومعه الحاشية)

يا عمى النبيل (يركع)

يورك : أرنى خضوع قلبك لا خضوع ركبتك . يا من احترامه خداع كاذب .

بولنجبروك : وى عمى الكريم !

يورك : اخسأ . اخسأ ! لا تدعنى بالكريم ولا تدعنى بالعم فإنى لست عما لخائن ، وإن كلمة الكرم فى فم غير شريف دنس . فلماذا جرؤت قدماك المقضى عليهما بالنفى وعدم العودة ، على وطء أرض انجلترة ؟ ولماذا سرت أميالا كثيرة على صدرها الهادىء ، مروعاً قراها الجائشة بالحرب ، مباهياً بالجنود المرذولة ؟ أذلك لأن ملك البلاد الرسمى بعيد عنها ؟ أيها الولد الطائش ما زال الملك هنا ، وقد استودع صدرى الموالى له سطوته ، ولو أن لى قوة الفتوة التى كانت لى عند ما كان والدك الباسل جونت حياً وأنقذنا معاً الأمير الأسود Black Prince — هذا الفتى الشجاع — من براثن آلاف من الجنود الفرنسية ، إذن لسرعان ما صال ساعدى هذا — ذلك الساعد الذى أصابه الشلل الآن — وعاقبتك لما اقترفته من الإثم .

بولنجبروك : أى عمى الكريم نبئنى بخطئى وعن كنهه وفيم يكون ؟

يورك : أما كنهه فأشنع ما يكون ، وذلك لأنه الثورة العظيمة ، والخيانة الممقوتة ، ذلك أنك رجل مقصى عن هذه الأرض ، وهأنت ذا قد عدت قبل نفاد مدة نفيك

متحدياً ملكك بجنودك .

بولنجبروك : لقد كنت منفياً بوصفى هرفورد ، ولكنى عدت من أجل لنكستر . وأتوسل إلى عمى النبيل أن ينظر فى أخطائى بعين خالية عن الغرض ، لأنك والدى ، ويخيل إلى أنى أرى فى شخصك الشيخ جونت حياً ، فهل ترضى إذن يا والدى أن أظل مشرداً هائماً على وجهى وأن أحرم حقوقى وأموالى وتنزع منى اغتصاباً وتعطى المسرفين محدثى النعمة ؟ فلم ولدت ؟ وإذا كان عمى ملك انجلتره فأكون أنا دون شك دوق لنكستر . إن لك ولدا يدعى أومرل وهو قريبى النبيل . فلو أنك مت قبل والدى ، ووطئته مناسم الظلم كما وطئتنى لوجد من عمه جونت والداً يثور من أجل مظالمه ويذود عنه ، ويوقع مرتكبها فى المحظور . إنى محروم من أن أطالب بحقوقى مع أن أوراقى الرسمية ترخص ذلك . ولقد اغتصبت جميع أملاك والدى وأمواله وكلها استخدمت استخداماً سيئاً . فما الذى تريدنى أن أفعله ؟ إنى كأحد أفراد الرعية أطالب بحقى فحرمت من أن يكون لى موكل قضائى . لذلك عمدت إلى الاستيلاء غصباً على حقوقى الموروثة إرثاً شرعياً لا غبار عليه .

نرثأمبرلند : لقد أسىء إلى اللورد الشريف إساءة فوق الحد .

روس : يجب على سعادتك أن تعمل على أن تنيله حقه .

ولوبى : إن السفلة من الناس يصبحون عظماء لو أن لهم موارده .

يورك : أى لوردات انجلترة : ذرونى أقل لكم ما يأتى : لقد تأثرت نفسى بما أصاب ابن أخى من الضيم وعملت جهدى لأن أنتصف له . ولكن قدومه على هذا الوجه متحدياً بجنوده ليأخذ حقه بيده ويشق طريقه على هذا النحو للاستيلاء على حقوقه مرتكباً الخطأ فهذا أمر لا يليق ، وأنتم يا من تشدون أزره وتعضدونه على ذلك إنما تؤازرون الثورة . وأنتم كلكم ثائرون .

نرثأمبرلند : لقد أقسم لنا الدوق الشريف بأنه قادم لاسترداد حقوقه ومن أجل ذلك أقسمنا أيماناً مغلظة إننا سنعاونه فى ذلك . ومن يحنث بهذا القسم فلينزل به الضر.

يورك : حسناً ، حسناً . إنى أرى مآل هذه الحرب . وأعترف بأنى لا أستطيع ردها ، إذ وهن العظم منى . ولا سبيل إلى علاج الحال ، بيد أنه قسما بالله الذى منحنى الحياة لو استطعت لقبضت عليكم جميعاً وأذللتكم للملكى وجعلتكم تتوسلون إلى رحمته ، ولكن بما أنى أقصر دون ذلك فاعلموا بأنى سأبقى محايداً . وأستودعكم الله ، اللهم إلا إذا رغبتم فى دخول القلعة لتقضوا الليلة مستريحين .

بولنجبروك : إنا نقبل عرضك هذا يا عمى . ولكن يجب أن تذهب معنا إلى قلعة برستل التى يقولون إنه يعتصم بها بجت وبشى وشركاؤهما—أولئك الشرهون المتطفلون على أموال الدولة والذين أقسمت بأن أستأصلهم وأجتث شأفتهم من فوق الأرض .

يورك : قد أذهب معكم ولكن لا بد لى من التريث لأنى أكره أن أخالف شرائع بلادى . وإنى أرحب بكم لا بوصفكم أصدقاء أو أعداء ؛ وكل الأشياء التى فات أوان إصلاحها لا يهمنى أمرها

(يخرجون)

المنظر الرابع

معسكر فى ويلز

(يدخل سلسبرى وضابط ويلزى)

الضابط : سيدى لورد سلسبرى لقد أقمنا عشرة أيام وتجشمنا صعوبة فى لمّ شعث رجالنا ومع ذلك فلم يأتنا نبأ عن ملكنا ولذلك سنفترق فوداعاً .

سلسبرى : انتظر يوماً آخر أيها الويلزى الصادق العهد لأنك محل ثقة الملك .

الضابط : يشاع أن الملك قد مات ولذلك لا نبقى مقيمين : إن أشجار الغار فى قطرنا قد ذبلت ، وتخيف الناس النجوم الثاقبة فى السماء ، ويشع القمر المصفر الوجه ضوءاً دموياً على الأرض ؛ ويهمس المتنبئون ذوو الأجسام الهزيلة بأحداث مخيفة ، ويظهر الأسى فى وجوه الأثرياء على حين أن الفقراء فرحون مستبشرون ، ذلك لأن الأثرياء يخافون

من نضوب معين ما ينعمون به والفقراء سينعمون بما يصيبهم من جراء الثورة والحروب — وكل هذه الظواهر تنبىء بقتل الملوك أو سقوطهم . فوداعاً : إن مواطنى قد رحلوا أو تفرقوا مؤكدين أن ملكهم رتشرد هلك

(يخرج)

سلسبرى : آه يا رتشرد ! إنى أرى بعين قلب أثقلته الكوارث والهموم أن عظمتك كالنجم الثاقب قد سقط من علياء فلكه إلى هذه الأرض الدنيئة . وأفلت شمسك وهى تمطر باكية فى الغرب الوضيع منبئة بالعواصف الهوجاء والهمّ المدلهمّ والاضطراب والفوضى . ولقد تفرق أصدقاؤك ليخدموا أعداءك . وها هو ذا الحظ يعبس فى وجهك وينفض عنك كل ما أوتيته منه .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الأول

سكر بولنجبروك فى برستُل

(يدخل بولنجبروك ويورك ونرثأمبرلند وبرسى وولوبى وروس ، وضباط من الخلف ومعهم بشى وجرين)

بولنجبروك : على بهذين الرجلين: يا بشى وجرين لن أنغص على روحيكما لأنهما ستخرجان حالا من جسديكما فليس من الرحمة أن أسترسل بإفاضة فى ذكر سيرتكما الشريرة . ولكن كى أبرئ نفسى من دمكما سأذكر على مرأى من هؤلاء الرجال بعض الأسباب التى تقضى بإعدامكما . لقد أضعتما أميراً ، بل ملكاً أوتى حظاً حسناً ، وقسمات جميلة شوهتماها تمام التشويه . ولقد فرقتما بوسيلة ما بين الملك والملكة التى أصابها النكد والغم من ظلمكما المرذول وذرفت دموعاً أضاعت بهاء وجنتيها الجميلتين .
أما من جهتى أنا الأمير بسبب حسن حظ مولدى وقرابتى للملك نسباً وحسباً فلقد أسأتما إلى العلاقات بينى وبين

الملك . وبذرتما بذور الشقاق بيننا ، وأثخنتما ظهرى بظلمكما . وجعلتمانى أنفث الأنفاس الانجليزية فى بلاد أجنبية ، وآكل خبز المنفى المؤلم . فى حين أنكما عشتما فى رغد من ضياعى . وأمحاتما متنزهاتى . واجتثثتما أشجار غاباتى . ودمرتما من شبابيكى أرمتى (شعار النبالة) ونزعتما الطغراء . ولم تتركا أثراً يدل على أنى سيد نبيل سوى ما يعرفه الناس . ودمى الذى يجرى فى عروقى . فمن أجل هذا وأكثر كثيراً منه . وأضعاف هذا أضعافاً مضاعفة أحكم عليكما بالإعدام . فسلموهما للجلاد للقضاء عليهما .

بشى : مرحباً بضربة الموت لأنها عندى خير من أن أرحب ببولنجبروك ملكا لانجلتره . وداعاً أيها اللوردات .

جرين : إنه لما يرفه عن نفسى أن روحى ستذهب إلى الجنة ، ومن ظلمنا سيصلى نار الجحيم .

بولنجبروك : يا لورد نرثأمبرلند . نفذ الأمر .

(يخرج نرثأميرلند وغيره ومعهم الأسيران)

يا عمى . لقد قلت إن الملكة بمنزلك ، فبحق الله عليك أن تأمر بمعاملتها معاملة حسنة ، وأخبرها أنى أوصى بجميل رعايتها واعمل على أن تصلها تحياتى .

يورك : لقد أرسلت سيداً من أتباعى ومعه رسالات شرحت فيها شرحاً وافياً محبتك لها .

بولنجبروك : أشكرك يا عمى اللطيف . هيا أيها اللوردات نذهب لنقاتل جلندور وأتباعه . فهيا إلى العمل الآن وبعد ذا تطيب الراحة .

المنظر الثانى

شاطئ ويلز

(ضرب على الطبول ونفخ فى الأبواق — يدخل الملك رتشرد وأسقف كارليل وأومرل وجنود بأعلامهم)

رتشرد : هل يدعون هذا الحصن قلعة باركلخلى ؟

أومرل : نعم يا سيدى . هل تنعم جلالتكم بهذا الهواء بعد ما عانيته من اصطخاب الأمواج فى البحار الهائجة المضطربة ؟

رتشرد : يجب أن أرغب فيها رغبة صادقة . وأن أبكى من الفرح عند ما أقف على ثرى مملكتى مرة ثانية .
أيتها الأرض العزيزة إنى أحييك بيدى ، ولو أن الثوار يجرحونك بحوافر خيولهم . وإنى أحييك كما تحيي الأم الرءوم التى فارقت طفلها مدة طويلة وتذرف دموعها فرحاً به وتبتسم عند لقياه . أرحب بك باكياً مبتسما ، وأدللك يا أرضى وأربت عليك بيدى الملكيتين ، فلا تطعمى أيتها الأرض الوديعة عدو ملكك ، ولا تغذى بمسراتك شعوره الضار ، بل اجعلى عناكبك التى تمتص

سمومك ، .وضفادعك الثقيلة تعرقل طريقه وتضايق قدميه الخائنتين اللتين تطآنك بخطواتهما المغتصبة . ولتخز حشائشك الشوكية أقدام أعدائى . وإذا حاولوا أن يقطفوا شيئاً من أزهارك فأرجوك أن تحرسيها بأفعى مختبئة تلدغهم بأنيابها وبلسانها ذى الشعبتين لدغاً مميتاً فتصيب مقتلا منهم . فلا تسخروا أيها اللوردات من هذه الاستغاثة الحمقاء ، لأن هذه الأرض لها شعور ، وستثبت حجارتها أنها جنود مسلحة قبل آن يتردى ملكها الوطنى تحت أقدام جنودها الثائرين .

كارليل : لا تخش شيئاً يا سيدى فإن هذه القوة التى جعلتك ماكاً لها من القدرة ما تصونك ملكاً على الرغم من كل شيء ، ويجب أن ننتهز الفرصة التى يؤيدنا الله بها ولا نهملها والا لو ساعدنا الله ورفضنا هذه المساعدة ما استطعنا أن ننتفع بها لإنصاف أنفسنا مما نزل بها من الحيف .

أومرل : يريد أن يقول يا سيدى إننا متهاونون أكثر مما يجب فى حين أن بولنجبروك بسبب تراخينا هذا تزداد قوته ماديا وأدبياً .

رتشرد : وى يا بن عمى المثبط للهمم ! ألا تعرف أنه عند ما تغيب عين السماء المبصرة (الشمس) عنا كى تشرق على الجهة المقابلة من الدنيا تنتشر اللصوص وقطاع الطريق فى أرضنا هذه، ويقترفون القتل وينتهكون الحرمات متسترين ، ولكن عند ما تشرق على أرضنا وتضيء قمم أشجار الصنوبر

الشرقية ، وتنشر أشعتها على كل ركن من الأرض يختفى به المجرمون ، يقف هؤلاء القتلة والخونة والمجرمون الآثمون وقد انقشعت عن ظهورهم أردية التستر ويظهرون عرايا مرتعدين؟ هذا هو شأن بولنجبروك اللص الخائن الذى انتهز فرصة غيابنا فى بقعة أخرى من أرضنا مطمئنين فبذر بذور الفساد والفوضى فى هذه الأرض ، ولكنه سيرانا نرتفع على عرشنا فى الشرق كالشمس ، ويخجل مما ارتكب من الخيانة لأن بصره سيبهره ضوء النهار وترتعد فرائصه رعباً من جراء ما ارتكبته يداه . فلا تستطيع مياه البحر الهائجة المضطربة أن تغسل الزيت المقدس الذى دهن به رأس الملك . وليس فى مقدور الرجال الهالكين أن يخلعوا الملك الذى اختاره الله لأرضه . وكل رجل اضطره بولنجبروك لمؤازرته واستعمله جندياً ليرفع سيفه البتار على تاجنا الذهبى ، سيعد الله ملكاً عظيماً لحراسة رنشرد منه . وإذا حاربت الملائكة فلا مندوحة من هزيمة بنى الإنسان الضعفاء لأن الله ما زال حارساً للحق ويؤيد بنصره من يشاء .

(يدخل سلسبرى)

مرحباً أيها اللورد . كم يبعد مقر جنودك ؟

سلسبرى : ليس أقرب أو أبعد عن هذا الساعد الضعيف . إن القلق الذى يساورنى لا يحمل لسانى على الإفضاء بشىء غير

اليأس . وإنى أخشى يا سيدى النبيل أننا بتأخرنا يوماً أكثر مما يجب قد أصابنا بسببه البؤس والحزن طوال أيام حياتنا فى الدنيا . ولو أنك استطعت أن تعيد أمس الغابر لوجدت اثنى عشر ألف محارب ، ولكن اليوم ، اليوم ، اليوم غير السعيد فلقد سبق السيف العذل ، إذ هدمت أفراحك وناء الدهر بكلكله على أصدقائك وحظك وملكك ، وذلك لأن جميع أهل ويلز عند ما سمعوا بإشاعة موتك انضموا إلى صفوف بولنجبروك وتفرقوا وهربوا إليه .

أومرل : تأس يا سيدى . لماذا اصفر وجهك هكذا ؟

رتشرد : منذ دقائق قليلة كان عشرون ألفاً من الرجال يناصروننى وقد هرب هؤلاء . وفى أثناء انتظار مثل هذا العدد ، أليس لى العذر فى أن يعترينى الفزع ويصفر وجهى صفرة الموت ؟ إن كل من أثق به من الرجال يفر من حولى لأن الزمن قد أساء إلى كرامتى .

أومرل : تشجع يا سيدى واذكر من أنت .

رتشرد : لقد نسيت نفسى . ألست ملكاً ؟ انهضى أيتها الجلالة المكسالة فإنك نائمة . ألا يعادل اسم الملك أربعين ألفاً من الرجال ؟ تسلح ، تسلح يا سمى ! لأن شخصاً حقيراً من رعاياك يصوب سهامه إلى مجدك العظيم . لا تكبوا على وجوهكم إلى الأرض يا أحباب الملك . ألسنا ذوى رفعة ؟ فلتكن إذن آراؤنا مرتفعة . إنى أعلم أن عمى يورك

عنده من الجند ما يشد أزرنا . ولكن من القادم إلى هنا؟

(يدخل سكروب)

سكروب : أتمنى لمولاى عافية وسعادة أكثر مما يقدر أن يفوه بها إنسان تعود على ذكر الهم والحزن .

رتشرد : إن أذنى مصغية ، وقلبى مستعد لأن يسمع أسوأ خسارة دنيوية تكشف عنها . فقل : هل فقدت مملكتى ؟ فلقد كانت تهمنى وهل من خسارة فى فقدان الهم ؟ هل يحاول بولنجبروك أن يصل إلى عظمتى ؟ لن يكون ذلك ، لأنه إذا كان يخدم الله فإنا نخدمه أيضاً ونكون مساوين له فى هذا . وهل ثارت رعايانا ولا نقدر على إطفاء غليانهم ؟ إذن فلقد حنثوا بعهودهم لله ولنا . فأعلن رسالة الأسى ولا تتردد ، وقل أسوأ ما عندك عن الدمار والخراب والخسران والانحلال . وأسوأ من جميع ذلك هو الموت وسيأتى هذا فى حينه .

سكروب : إنه لمما يسرنى هذا التسلح من جلالتكم لسماع أخبار المصيبة . إن مثل بولنجبروك كمثل يوم عاصف أتى فى غير أوانه وجعل الأنهار تفيض بمياهها الفضية وتجرى زاخرة إلى البحر . وكأن الدنيا كلها ذرفت دموعها مطراً ، فاصطخبت أمواج هذه الأنهار وفاضت على جوانبها المرتفعة ؛ فلقد انتشر جنود بولنجبروك بسيوفهم الصقيلة وبقلوب أقوى من الحديد . وقد تسلح الشيوخ ووضعوا

فوق رءوسهم الصلعاء الخوذات ليقاتلوا جنود جلالتكم ، والأولاد ذوو الأصوات التى تحاكى فى خفوتها أصوات النساء يحاولون أن ترتفع صيحاتهم وتقعقع مفاصلهم النسوية بأسلحة ثقيلة يشهرونها على تاجك . وشيوخك المقعدون يتعلمون ثنى قسيهم المصنوعة من خشب الشوحط العظيم الفتك ويصوبون سهامهم على أبهتك . وحتى النساء المشتغلات بالنساجة يصوبن حرابهن (الصدئة من عدم الاستعمال) على عرشك . فالكبار والصغار ثائرون . وساء الحال أكثر مما فى استطاعتى وصفه .

رتشرد : لقد أطنبت ثم أطنبت فى سرد أخبار عظيمة السوء . وأين ايرل ولتشبر . وأين بجت ؟ وما الذى آل إليه أمر بشى ؟ وأين جرين ؟ وأين كانوا جميعهم حتى أباحوا لعدونا الخطر غزو بلادنا سالماً على هذا الوجه ؟ لعمرى إذا انتصرنا فسيكون عقابهم قطع الرءوس . وإنى أؤكد أنهم اصطلحوا مع بولنجبروك .

سكروب : لقد اصطلحوا معه على وجه التأكيد .

رتشرد : واها لهم من أشرار أفاع دفأهم دم قلبى فلدغوا هذا القلب . إنما هم ثلاثة من الخونة وكل واحد منهم أسوأ من يهوذا . هل صحت عزيمتهم على الصلح . فلتشن جهنم الفظيعة حرباً على أرواحهم الخبيثة من أجل هذا الجرم !

سكروب : إنى أرى أن الحب عند ما يفقد صفاته الخاصة به ينقلب

إلى كره أشد ما يكون مقتاً وفتكاً ، فترحم الآن على أرواحهم . فإن صلحهم مما عملته رءوسهم لا أيديهم . وإن من تلعنهم قد ذاقوا غصة الموت وهم الآن رهينو قبورهم تحت الثرى .

أومرل : هل مات بشى وجرين وإيرل ولتشر ؟

سكروب : نعم ، فلقد فقد الجميع رءوسهم فى برستل .

أومرل : وأين والدى الدوق بجنوده ؟

رتشرد : لا يهم مقامه . دعكم الآن من التكلم عن السلوى ولنتكلم عن المقابر والدود والقبريات (ما يكتب على المقابر) وليكن كاغدنا الثرى نخط عليه بالدمع الهتون أحزاننا . ولنتكلم عن الأوصياء والوصيات . ولكن دعنا من هذا أيضاً فإنه ليس لنا ما نوصى به سوى قبر أجسادنا المنبوذة فى الثرى . لأن كل أرضنا وحياتنا وكل ما نملك أصبح لبولنجبروك . وليس لنا ما نملك سوى الموت ، وقطعة الأرض الصغيرة الماحلة التى هى بمثابة ستر وغطاء لعظامنا . وأيم الله ذرونا نجلس على الأرض ونقص قصص مآسى موت الملوك ، وكيف عزل بعضهم وقتل الآخر فى الحروب ، وكيف ظهر لبعضهم أشباح الملوك الذين عزلوهم ، وكيف سمم بعضهم نساؤهم ، وكيف قتل بعضهم وهم نائمون . وصار الكل إلى الهلاك ، إذ يقطن فى التاج المجوف الذى يحيط بفودى الملك الفانيين زبانية

الموت . ففيه يجلس هذا الموت الساخر من مقام الملك ، والمتجهم لأبهته . ويأذن له ببرهة قصيرة ومسرح صغير ليمثل عليه دوره الملكى الذى تخشى سطوته وتقتل نظراته ، ويملأ نفسه بالغرور الباطل الزائل الذى يحسب هذا الجثمان الذى يحيط بحياتنا من النحاس الحصين . وبعد أن يسايره الموت مدة ويتركه يمثل دور الملك يأتيه وينفذ فى جدر قلعته الحصينة ويثقبها ثقباً كثقب الدبوس فينتهى أجله . فغطوا رءوسكم ولا تهزءوا مما هو ليس إلا لحماً ودماً باحترامكم المهيب . انفضوا عنكم الاحترام والخشوع التقليدى ، والواجب المتكلف لأنكم أخطأتم فهمى طوال هذه المدة ، إذ أنى آكل الطعام مثلكم . وأحس بالحاجة وأشعر بالحزن وأحتاج للأصدقاء مثلكم . فإذا كان هذا هو شأنى وأتعرض لما تتعرضون له . فكيف تقولون لى إنى ملك ؟

كارليل : سيدى إن عظماء الرجال لا يقبعون مطلقاً ويندبون حزنهم ، بل يهبون فى الحال لدرء الوسائل التى تؤدى إلى هذا الحزن . فإن الخوف يشل قوة الإنسان وبذلك يزيد فى قوة عدوه ويساعده على التغلب عليه . فإذا كنت لا تستطيع إلا الخوف فالأولى أن تقتل فى الحال (وهذا أسوأ ماينتج عن القتال) لأن الموت فى أثناء القتال معناه أن تهدم بالموت الطبيعى الموت الأدنى الذى ينشأ من العيش مع التخوف من الموت ، على حين أن

خوفك من الموت دائماً يصيرك عبداً رقيقاً ذليلا للموت .
(إن الرجل الذى يحارب ويتعرض للموت يحتفظ بموته فى يديه ولذلك يحرم الموت من فريسته بما أنه يضحى بنفسه) .

أومرل : إن لوالدى جيشاً فاسأل عنه وانتفع أحسن انتفاع بقوته .

رتشرد : لقد أحسنت تأنيبى يأيها المتكبر بولنجبروك . وسأقابلك لنتقاتل ويتقرر مصيرنا . إن مرض الخوف هذا مبالغ فيه لأن الاستيلاء على حقنا عمل سهل . فقل يا سكروب أين يقطن عمى بجنوده ، وتلطف فى القول أيها الرجل ، ولو أن ملامحك متجهمة .

سكروب : إن الناس تحكم على الجو العام لليوم وتطوراته بالمنظر العام للسماء ، وكذلك تستطيع أن تحكم من عينى الكليلتين الحزينتين على ما سينطق به لسانى من القصة الأشد حزناً . إنى أمثل دور المعذب البطىء فى تعذيبه حتى يطيل أمد أسوأ ما يجب أن أفصح عنه . لقد انضم عمك يورك إلى بولنجبروك وسلمت كل قلاعك فى الشمال وانضم إلى صفوفه كل جنودك فى الجنوب .

رتشرد : كفانى ما قلت .

(إلى أومرل) تعساً لك يا بن عمى لأنك جعلتنى أترك ذلك الطريق الحلو الذى كنت أنعم فيه ألا وهو طريق اليأس ! فما قولك الآن ؟ وأى سرور بقى لنا الآن ؟ وأيم

الله إنى أكره كرهاً أبدياً من يحثنى على الجذل . سأذهب إلى قلعة فلنت وهناك سأذوب أسى ، وينحل جسمى ، وسأعيش أسير الكرب والبث وأخضع لهما . فسرحوا جنودى وابعثوا بهم لحرث الأرض التى يحتمل فلحها وزراعتها لأنهم قد يجدون منها ما يكافئهم على عملهم أحسن من مكافأة الملك الذى أصابت حالته اليأس . فليكف كل فرد منكم عن الكلام فيما يخالف ذلك لأن نصيحته ستذهب عبثاً .

أومرل : سيدى ، لى كلمة واحدة .

رتشرد : من يتملقنى بلسانه يضاعف إساءته لى . سرح تابعى ودعهم يتوجهوا بعيدين عن ظلام ليل رتشرد ، ويقصدوا إلى يوم بولنجبروك الصحو .

(يخرجون)

المنظر الثالث

أمام قلعة فلنت

(يدخل بولنجبروك بالطبول والبنود وجنده ويورك ونرثأمبرلند وغيرهم)

بولنجبروك : إن الأخبار التى جاءت إلينا تنبىء بأن جنود ويلز تفرقوا شذر مذر . وذهب سلسبرى لمقابلة الملك الذى نزل

منذ عهد قريب إلى هذا الشاطئ ومعه بعض خاصة أصدقائه .

نرثأمبرلند : إن هذه الأخبار صحيحة وموثوق بها يا سيدى ، ولقد اختبأ رتشرد على مسافة قريبة من هنا .

يورك : كان يجدر بنرثأمبرلند أن يقول الملك رتشرد . واسوأتاه لهذا اليوم النكد التعس الذى يختبي فيه ملك مقدس كهذا !

نرثأمبرلند : لقد أخطأت يا صاحب السعادة قصدى ، فلقد تركت لقبه على سبيل الاختصار .

يورك : لقد كان هناك وقت لو ذكرت فيه اسمه بدون تكلف لأطاح برأسك لأنك بتركك لقبه تعرض نفسك للهلاك .

بولنجبروك : لا تسيء الفهم يا عمى أكثر مما ينبغى لك .

يورك : إياك أن تأخذ يا بن أخى أكثر مما ينبغى لك لئلا تستولى على ما ليس لك حق فيه (أى التاج) وبذا ترتكب خطأً جسيماً ، فالله موجود ويرقبنا من عليائه .

بولنجبروك : أعلم ذلك يا عمى ولا أعارض فى إرادته . ولكن من القادم ؟

(يدخل برسى) .

مرحباً يا هنرى . وى ! هل سلمت هذه القلعة ؟

برسى : إن القلعة محصنة تحصيناً ملكياً يا سيدى ولا نستطيع دخولها .

بولنجبروك : ملكياً ! ولم ذلك وليس بها ملك ؟

برسى : نعم يا سيدى النبيل ، إن بداخلها ملكاً ، لأن الملك رتشرد يقطن الآن بداخل تلك الجدر . ومعه لورد أومرل وسلسبرى وسير ستيفن كروب فضلا عن رجل من رجال الدين المحترمين لا يحضرنى اسمه .

نرثأمبرلند : من المحتمل أن يكون أسقف كارليل .

بولنجبروك : أيها اللوردات النبلاء ، اذهبوا إلى أسوار هذه القلعة العتيقة واعلنوا بالبوق النحاسى النغم المؤذن بالهدنة فى كواتها المتهدمة ونادوا بما يأتى :

« إن هنرى بولنجبروك وهو جاث على ركبتيه يقبل يد رتشرد ويتقدم بولائه وإخلاصه إلى شخص جلالة الملك المعظم . وقد قدم هنا طيعاً مسلماً سلاحه وقوته على شرط أن يلغى الملك أمر نفيه . وأن تسلم له أملاكه وإلا سيهتبل فرصة وجود جيوشه وقوته ويمطر الثرى وابلا من الدماء التى ستتفجر من جروح قتلى الإنجايز . وإن لخضوع بولنجبروك التام ما يدل دلالة رقيقة على مدى استعداده لتجنب هذه العاصفة التى ستغمر بالدماء أرض الملك رتشرد اليانعة الخضراء » فاذهبوا وأعلنوا هذا فى حين أن نسير نحن على خمائل هذه القيعة . ولنمش بدون أصوات الطبول المتوعدة حتى يمكن أن ترى من شرفات. هذا الحصن المتهدمة مبلغ عدتنا وعتادنا . ويخيل إلى أن مقابلتى ورتشرد يجب

أن تكون أقل إزعاجاً من عناصر النار والماء التي يبددها قصف الرعد ويمزق سحب السماء . وليكن هو النار وأنا الماء المذعن المستسلم ، وليكن هو الغاضب المحنق في حين أسقط أنا الماء على الأرض لا عليه . فسيروا والحظوا ما تنم عنه نظرات الملك رتشرد .

(ترنيم المهادنة يجاوبه نغم من بوق في الداخل . ترنيم من الأبواق ويظهر على الأسوار الملك رتشرد وأسقف كارليل وأومرل وسكروب وسلسبرى) .

انظروا ، انظروا. الملك رتشرد يظهر بنفسه ويطل كما تطل الشمس المتكدرة والخجلة من مشرقها الناري في الشرق عند ما ترى السحب الحاقدة معتزمة أن تعتم سيرها البهيج إلى الغرب .

يورك : ولكن تظهر عليه الملامح الملكية . انظروا إلى عينيه فإنهما وضاءتان كعيني النسر ويشع منهما نور الجلالة المسيطرة . واحسرتاه ، واحسرتاه إذا كان الكمد سيطمس معالم هذا المنظر البهيج !

رتشرد : (إلى نرثأمبرلند) إني لمدهوش ، لقد ظللت واقفاً مدة طويلة منتظراً أن تجثو على ركبتك مظهراً الخشوع لأني ظننت أني ملكك الحق . فإذا كنت كذلك فكيف تجرؤ أعضاء جسمك أن تنسى أن تقدم في حضرتي واجبها المهيب . وإذا لم أكن كذلك فأرنا أمر الله الذى قضى

بعزلنا من وظيفتنا ، لأننا نعرف حق المعرفة أنه ما من يد بشرية تستطيع أن تستولى على صوبلجاننا المقدس إلا إذا أرادت ارتكاب إثم تدنيس ما هو مقدس أو سرقته أو اغتصابه . ومع أنكم تظنون أن الجميع قد حنثوا بعهودهم وقلبوا لى ظهر المجن كما فعلتم أنتم أنفسكم حتى أصبحت وحيداً محروماً من الأصدقاء . فاعلموا أن مولاى القادر يجمع فى علياته جنوداً تنصرننا . جنوداً من الوباء الذى سيرسله من السماء ويصيب به أطفالكم فى الحال والاستقبال . أطفال أولئك الذين يشهرون الثورة علىّ ويهددون مجدى وتاجى النفيس . أخبر بولنجبروك — فإنى إخاله واقفاً هناك — أن كل خطوة يخطوها فوق أرض بلادى إنما هى خيانة خطيرة . فلقد أتى محاولا أن يقتضى منى ما يريده بوساطة الحرب . ولكن قبل أن نستسلم ويستولى على التاج ستهراق دماء عشرات آلاف من الفتيان ويشوه جمال سطح هذه الأرض . وسيتغير وجهها الذى يشبه وجوه العذارى فى هدوئه إلى حمرة مبعثها الغضب . وتخضل كلأ مراعيها بدم الإنجليز الوفى .

نرثأمبرلند : معاذ الله أن يتسرع سيدنا وملكنا فى اندلاع نار الثورة ، ويعلن الحرب الداخلية الهوجاء . إن ابن عمك الشريف والكريم المحتد يقبل يدك . ويقسم بالقبر الذى يضم جدث جدك . وبالدم الملكى الذى تسلمتما منه أباً عن جد ،

متوجين بالشرف ، وبيد الراحل جونت الشجاع وبفضله وشرف نفسه وبكل قسم أومقال ، أن مجيئه هنا ما هو إلا لاستخلاص إرثه . ويرجو بكل خضوع رد حقوقه حالا . وهذه الحقوق إذا ما أمرتم جلالتكم بردها إليه ستوقف رحى الحرب . ويرسل جنوده المسلحة إلى حظائرها ، ويقدم قلبه لخدمتك مخلصاً . ويقسم على ذلك بوصفه أميراً موالياً . وإنى أصدقه بوصفى سيداً نبيلا .

رتشرد : يا نرثأمبرلند أجبه بأن الملك يرحب ترحيباً صادقاً بابن عمه وسينال كل مطالبه العادلة بدون معارضة . وبلغ مسامعه اللطيفة بكل ما أوتيت من حسن منطق تحياتى الطيبة . (إلى أومرل) هلا نحط من قدرنا يا بن عمى أن نظهر على هذه الهيئة المتواضعة . ونتكلم بهذه اللهجة اللطيفة ؟ هل نطلب عودة نرثأمبرلند ونتحدى الخائن وبذلك نهلك ؟

أومرل : لا يا سيدى الكريم ذرنا نقاتل بكلمات لطيفة حتى يمدنا الزمن بالأصدقاء الأوفياء ذوى السيوف المعاونة .

رتشرد : يا إلهى ! يا إلهى ! هل وصلت بى الحالة أن أسترد بلسانى استرداداً صادقاً الحكم الرهيب بالنفى الذى قضيت به على هذا الرجل الصلف ! ليتنى كنت عظيماً كعظمة أحزانى ، أوأقل قيمة من اسمى . ويا ليتنى أنسى ما كنت فيه لأتذكر ما أنا صائر إليه الآن ! انتفخ أيها القلب الأنوف ، وسأسمح لك بأن تدق بما أن الأعداء قد

رخصوا لأنفسهم أن يضربوك ويضربونى .

أومرل : لقد عاد نرثأمبرلند من بولنجبروك .

رتشرد : ما الواجب أن يفعله الملك الآن ؟ هل يخضع ؟ سيفعل ذلك الملك . هل سيفقد اسم « ملك » قسما بالله ليذهبن . سأستبدل بجواهرى مسبحة . وأستعيض عن قصرى الفخم بدير . وأستعيض عن ملابسى البهجة رداء رجل من الفقراء . وبكؤوسى المزينة بالرسوم أكواباً من الخشب . وبصولجانى عصا من جريد النخل . وبرعاياى صوراً من القديسين . وبمملكتى الشاسعة قبراً صغيراً . صغيراً . صغيراً . خفياً أو سأقبر فى الطريق العام حيث تكثر حركة نقل المتاجر . وحيث تطأ أقدام رعاياى كل ساعة رأس ملكهم . لأنهم الآن يطئون قلبى وأنا حى . فلماذا لا يطئون رأسى إذا مت ودفنت ؟

إنك تبكى يا أومرل يا بن عمى ذا القلب الشفيق ! سنجعل الجو مكفهراً بدموعنا المرذولة وستمحل تنهداتنا ودموعنا قمح الصيف . وتحدث مجاعة فى هذه الأرض الثائرة . أم هل سنطيش بأحزاننا ونحدث منظراً بإذراف دموعنا حتى تستطيع هذه أن تحفر لنا قبرين فى الثرى نوارى فيهما . ويكتب عليهما « هنا يرقد رجلان حفرا قبريهما بدموع أعينهما » ؟ وهل تستحسن صنع هذا العمل السيء ؟ حسناً ، حسنا . إنى أرى أنى أتكلم

كلاماً هراء وأنتم تسخرون مني .
أيها الأمير العظيم يا سيدى نرثأمبرلند . ما الذى يقوله الملك بولنجبروك ؟ هل يسمح جلالته بأن يعيش رتشرد حتى يموت . وإذا كان نرثأمبرلند العظيم صديق بولنجبروك يركع أمامه ويرجوه أن يمنح رتشرد ما يطلبه فإن بولنجبروك لا بد مجيب طلبه .

نرثأمبرلند : إنه يا سيدى فى الفناء الأدنى ينتظركم للتكلم معكم فهلا تفضلتم بالنزول إليه ؟

رتشرد : أنزل إلى تحت مثل فيتون[١] Phaethon الوضاء ابن إله الشمس الذى لم يستطع قيادة خيوله المتمردة . أفى الفناء الوضيع ؟ فى الفناء حيث يصير الملوك وضيعين ذليلين . يلبون طلب الخونة . ويؤدون لهم الاحترام .
فى الفناء الوضيع ؟ أهبط ؟ فليسقط الفناء وليسقط الملك ! فإن بومات الليل تنعب حيث يجب أن يغرد القُبّر (يخرج)

بولنجبروك : ما الذى قاله جلالته ؟

نرثأمبرلند : إن همه وكمده جعلاه يتكلم كلاماً هراء كالمجنون ومع ذلك فلقد أتى .

(١) يشير إلى خرافة يونانية : أراد فيتون ابن إله الشمس أن يقود عربة الشمس يوماً ما وسمح له والده بذلك ولكنه لم يستطع إسلاس قيادة الخيول فاقتربت من الأرض وكانت على وشك أن تضرم فيها النيران فغضب منه إله الآلهة وأصابه بصاعقة من البرق وقذف به فى نهر البو بإيطاليا .

(يدخل رتشرد وتابعوه إلى الفناء)

بولنجبروك : قفوا جميعاً على جانب ، وأدوا الواجب الحق لجلالته . سيدى الجليل (يركع)

رتشرد : يا بن عمى الكريم ، إنك تحط من شأن ركبتيك النبيلتين إذ جعلت الأرض الوضيعة تزهو بتقبيلهما . ولقد كان خيراً لى أن يشعر قلبي بمحبتك من أن ترى عينى احترامك . قم يا بن عمى قم . فإنى أعلم أن قلبك مرتفع ، مرتفع كهذا (مشيراً بيده إلى التاج) ولو أنك هبطت بركبتيك .

بولنجبروك : سيدى ومولاى المبجل قد حضرت من أجل أملاكى .

رتشرد : أملاكك لك ، وأنا ملك لك ، وكذلك الجميع .

بولنجبروك : إنها ملكى أيها الملك المهيب لأن خدمتى الصادقة تستأهل محبتك .

رتشرد : حقاً لقد استأهلت ، وكل من يعرف أقوى السبل وآكدها للحصول على ما يطلب يستأهل ذلك . أعطنى يدك يا بن عمى . جفف دموع عينيك فإن الدموع تظهر الحب ولكنها فى حاجة إلى وسائل علاج أسبابها . إنى أصغر من أن أكون والدك ، ولو أنك بلغت من الكبر ما يصح معه أن تكون وريثى . وما تريده سأعطيه ، وعن رضاً أيضاً ، لأننا نعمل ما تحملنا القوة على عمله . هيا بنا إلى لندن . أليس الأمر كذلك يا بن عمى ؟

بولنجبروك : نعم يا سيدى الطيب .

رتشرد : يجب ألا أخالفك

(ترنيم — يخرجون)

المنظر الرابع

لنجلى : بستان دوق يورك

(تدخل الملكة وسيدتان)

الملكة : أى لعب ندبره فى هذه الحديقة ، حتى ننفض عن عاتقنا عبء الهموم الثقيلة ؟

السيدة الأولى : فلنلعب الكرات يا سيدتى .

الملكة : إن اللعب يجعلنى أفكر فى أن الدنيا مملوءة بالعوائق ، وإن حظى سيصطدم هو وتلك العوائق .

السيدة الثانية : إذن فلنرقص يا سيدتى .

الملكة : إن ساقى لا يمكن أن تتقنا الخطى عند ما أحاول الرقص مبتهجة فى حين أن قلبى المسكين مضطرب من الكمد أشد الاضطراب . فلنصرف النظر إذن عن الرقص ونفكر فى لعب آخر .

السيدة الأولى : سيدتى سنقص القصص .

الملكة : قصص الحزن أم قصص السرور ؟

السيدة الأولى : كلاهما يا سيدتى :

الملكة : لا هذه ولا تلك يا فتاة . لأن قصص السرور الذى ينقصنى تزيد فى تذكيرى بالهم ، وقصص الحزن الذى يغمرنى تزيد فى همومى الناجمة عن عدم مسراتى ، وما عندى يجب ألا أكرره ولا فائدة من أن أتذمر من شيء ينقصنى .

السيدة الأولى : سأغنى يا سيدتى .

الملكة : قد يكون ذلك خيراً لو أن لك سبباً يدفعك إليه ، ولكنك تسريننى أحسن لو أنك بكيت .

السيدة الأولى : أستطيع البكاء يا سيدتى لو أن ذلك يصلح بالك .

الملكة : وأستطيع أنا البكاء لو أن فى البكاء إصلاح بالى ، ولا أستعير دموعك . ولكن تريثى فإن البستانيين قادمون . فلنختف فى ظلال هذه الأشجار وإنى أراهن —على كآبتى— بصف من الدبابيس أنهم سيتكلمون عن السياسة لأن كل الناس يتكلمون عنها متوقعين حصول حدث لأن الأسى يسبقه شعور عام بالهم .

(تنسحب الملكة والسيدتان)

(يدخل البستانى وخادمان)

البستانى : اذهب واربط أغصان الخوخ المتدلية التى مثلها مثل الأطفال المتمردين الذين يجعلون آباءهم ينوءون بإسرافهم ، واعمل تكئات لهذه الأغصان التى تنوء بأحمالها من الثمار . اذهب واقطع رءوس الأغصان النامية نمواً سريعاً وكن

كمنفذ حكم الإعدام . اقطع هذه الأغصان التى تحاول أن تستطيل رءوسها أكثر مما يجب فى دولتنا ، فى حين تجب المساواة فى حكومتنا . وسأذهب فى أثناء عملك هذا وأجتث جذور الحشائش الثائرة التى لا فائدة لها سوى امتصاص خصب الأرض ، وحرمان الأزهار الصالحة منها .

الخادم الأول : ولماذا نعمل نحن فى حدود دائرة أعمالنا على حفظ القانون والشكل والتناسق ونظهر بمظهر نموذجى لنبات مملكتنا فى حين أن بستاننا (مملكتنا) الذى يحيط به البحر كل أرضه مملوءة بالعشب . وكل أزهاره الجميلة مختنقة بسبب ذلك . وكل أشجار فاكهته غير مشذبة ، وكل أسواره مخربة ، وكل أرض مزروعاته مدمرة ، وكل أعشابه الصحية يزدحم بها الدود .

البستانى : صه . إن من سمح بهذا التدمير استهدف الآن لسقوط أوراقه . والحشائش التى كانت تظلها وتحميها أغصانها العريضة . والتى كانت تظهر أنها تسنده اجتثها من جذورها جميعاً بولنجبروك . إنى أقصد إرل ولتشر وبشى وجرين .

الخادم الأول : وى ! هل ماتوا ؟

البستانى : نعم ، وقبض بولنجبروك على الملك المسرف . واحسرتاه عليه لأنه لم يشذب وينظف أرضه كما نفعل نحن بهذا

البستان ، فإنا فى الوقت الملائم نلف الجذع وهو لحاء أشجار فاكهتنا لئلا تزهو بكثرة عصارتها وماء حياتها الكثير وتتلف نفسها بنفسها . ولو أنه فعل ذلك بالرجال العظماء المتطاولين لعاشوا وحملوا الثمار ولذاق هو ثمار واجبهم نحوه . إنا نقطع الأغصان الزائدة عن الحاجة حتى تحيا الأغصان المثمرة ؛ ولو أن الملك فعل ذلك بنفسه لحمل تاجه الذى حطته عنه ساعات الكسل والتراخى .

الخادم الأول : هل تظن أن الملك سيخلع ؟

البستانى : لقد أذل ومن المحتمل أن يخلع . ولقد وردت رسل فى الليلة الماضية إلى صديق من أصدقاء الدوق يورك الطيب تنبىء بأخبار سيئة .

الملكة : إنى متضايقة حتى يكاد يقضى على حياتى من عدم التكلم ! (تتقدم) أنت يا من تضاهىء آدم فى سحنتك . والذى عهد إليك تنظيم هذه الحديقة . كيف جرؤت على إذاعة هذه الأخبار السيئة ؟ وأية حواء أو أية أفعى حرضتك على أن تقول بسقوط رجل « ثان » مذموم مدحور ؟ ولماذا تقول إن الملك رتشرد خلع ؟ وكيف تجاسرت يا أحقر خلق الله أن تتنبأ بسقوطه ؟ أجبنى أين ، ومتى ، وكيف وصلتك هذه الأخبار المفجعة ؟ تكلم أيها التعس .

البستانى : أستميحك العفو يا سيدتى . إنه لما يسيئنى إشاعة هذا

الخبر ، ولكنى أقول إنه الحق . إن الملك رتشرد فى قبضة بولنجبروك القوية . وقد وزن حظاهما فشالت كفة سيدك وليس بها غير نفسه وبعض المتملقين الذين يجعلون كفته خفيفة . ولكن كفة بولنجبروك فيها فضلا عن نفسه كل أشراف انجلتره وهذا مما يجعل كفته ثقيلة راجحة على كفة رتشرد . أرسلى إلى لندن فإنك ستجدين هذا صحيحاً ، وأنى لا أتكلم بأكثر مما يعرفه كل فرد .

الملكة : أيها الحظ السيء السريع الحركة ! هل كانت رسالتك لى وأظل أنا آخر من يعرفها ؟ أو تظن أن تخدمنى أخيراً حتى يستمر نكدى مدة أطول فى صدرى ؟ هيا يا سيدات لنقابل فى لندن ملك لندن الحزين . وى ! هل فطرت لهذا ! وهل فطرت ليقع نظرى المهموم على انتصار بولنجبروك العظيم ؟ أيها البستانى ، نظراً إلى إخبارى بهذه الأنباء السيئة أطلب إلى الله أن النبات الذى تطعمه لا ينمو ويمحل .

(تخرج الملكة والسيدتان)

البستانى : أيتها الملكة التعسة ، أتمنى ، حتى لا تزداد حالتك تعساً ، أن تستجيب مهارتى للعنتك . لقد سكبت دموعها هنا فى هذه البقعة وسأزرع فيها عشب الندم وسينبت تذكاراً للملكة باكية .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الأول

قاعة وستمنستر

(رجال الدين فى الجهة اليمنى من العرش . وأرباب السلطة الزمنية فى الجهة اليسرى)

(يدخل بولنجبروك وأومرل وسرى ونرثأمبرلند وبرسى . وفتزوتر ولورد آخر)

(أسقف كارليل ورئيس دير وستمنستر والأتباع . ويقف من الخلف الضباط ومعهم بجت)

بولنجبروك : استدعوا بجت

(يحضر الضباط بجت أمام المنصة)

والآن يا بجت أفض بكل حرية بما عندك : ما الذى تعلمه عن مقتل جلوستر الشريف ، ومن ذا الذى حرض الملك عليه ، ومن قام بسفك دم ذلك الشباب الغض فى غير أوانه ؟

بجت : يجب أن تواجهنى بلورد أومرل .

بولنجبروك : قف يا بن عمى وواجه هذا الرجل .

بجت : سيدى لورد أومرل . إنى أعلم أن لسانك الجرىء يزدرى أن ينكر ما فاه به من قبل : فى ذلك الوقت المكفهر عند ما دبر أمر قتل جلوستر سمعتك تقول « أليس ساعدى طويلا حتى يصل من البلاط الانجليزى المطمئن إلى رأس عمى فى كاليه ؟ » . ومن بين أقوال أخرى كثيرة أدليت بها سمعتك فى هذا الوقت تقول « إنه خير لك أن ترفض منحة مائة ألف كراون عن عودة بولنجبروك إلى انجلتره » . وأضفت إلى ذلك قولك « إنه بموت ابن عمك ستحل البركة على هذه البلاد » .

أومرل : أيها الأمراء والأشراف والنبلاء ما الذى أجيب به هذا الرجل السافل ؟ هل أدنس تدنيساً عظيماً شرف محتدى وأنزل إلى مستواه وأعاقبه عقاباً بدنياً ؟ إما أن أفعل ذلك أو أقبل تدنيس شرفى بهذه الألفاظ المنكرة التى فاه بها . هاك قفازى الذى فيه القضاء عليك ويدفع بك إلى جهنم . إنى أعلن أنك كاذب . وسأثبت افتراءك بسفك دمك ، ولو أنه أحط من أن يدنس شرف سيف فروستى العضب .

بولنجبروك : تنح يا بجت ولا تتناوله .

أومرل : بغض الطرف عن واحد فى هذا الجمع (بولنجبروك) كنت أتمنى أن يكون أشرفكم أرومة هو الذى أثار غضبى على هذه الصورة .

فتزوتر : إذا أبيت إلا أن تبارز خصما يضاهئك نبلا فإنى أتقدم إليك يا أومرل . وهاك قفازى وبحق الشمس التى تربنى مكانك لقد سمعتك تقول ، وتقول متبجحاً إنك كنت سبب مصرع جلوستر الشريف . فإذا أنكرت ذلك عشرين مرة فإنك تكذب ، وأرد كذبك إلى قلبك الذى اخترقه بسن سيفى هذا .

أومرل : لن تجرؤ أيها الرعديد أن تعيش لترى ذلك اليوم .

فتزوتر : قسما بروحى أتمنى أن يكون ذلك فى هذه الساعة .

اومرل : إن مأواك سيكون الجحيم من أجل هذا .

برسى : أنت كاذب يا أومرل . إن صدق شرفه فى هذا الاتهام يضارع كذب كلماتك . وبما أنك كذلك فأرمى قفازى حالا كى أثبت عليك هذا حتى آخر نفس فى حياتى فتناوله إذا جرؤت .

أومرل : وإذا لم أفعل فليصب يدى العطب حتى لا تستطيعا بعدئذ أن تسلا السيف وتسدداه على خوذة عدوى اللامعة انتقاماً منه !

لورد : إنى أقسم كما أقسم أومرل الحانث . وأستفزك يا أومرل باتهامك بالأكاذيب التى يمكن ترديدها فى أذنك الخائنة من شروق الشمس إلى غروبها وهاك قفازى رهن شرفى فاقبل التحدى إن كنت تجرؤ .

أومرل : وهل من آخر منكم يدعونى للنزال ؟ وايم الله لأبارزنكم جميعاً

فرادى . إن فى صدرى ألف روح تستطيع مقاومة ألف رجل ممن هم على شاكلتكم .

سرى : سيدى لورد فتزوتر إنى أذكر جيداً الوقت بالضبط الذى تكلمت فيه أنت وأومرل .

فتزوتر : هذا جد صحيح ، فلقد كنت حاضراً معنا إذ ذاك وتستطيع أن تؤيد شهادتى بأن هذا هو الصدق .

سرى : وحق السماء إنه لكذب ، كما أن السماء حق .

فتزوتر : أنت كاذب يا سرى .

سرى : أيها الفتى غير الشريف . إن هذا الكذب سيقبع على سيفى ويثقله حتى يأخذ بالثأر والانتقام ويهبط بك أيها الكاذب ، ويلقيك فى جوف الأرض ساكناً لا حراك بك مثل جمجمة والدك . وتأييداً لذلك هاك برهان شرفى وأتحداك للنزال إن جرؤت .

فتزوتر : ما أحمقك من شخص تثير جواداً شكساً ! إذا جرؤت على الأكل أو الشرب أو التنفس أو الحياة فسأقابل سرى فى فلاة (حيث لا يتدخل أحد لنصرة أحدنا) وأبصق فى وجهه وأقول له إنه يكذب ، ويكذب ، ويكذب وهاك هو قفازى كى أضطرك لمبارزتى لأعاقبك عقاباً صارماً .

وبحق ما أؤمل من نجاح فى هذا العهد الجديد ذى الملك الجديد إن أومرل مذنب فيما اتهمته به اتهاماً حقاً . وفضلا

عن هذا فإنى سمعت نرفك المنفى يقول إنك يا أومرل أرسلت رجلين من رجالك لسفك دم الدوق الشريف .

أومرل : فليعرنى أى مسيحى شريف قفازه لأؤكد كذب نرفك، وإنى أتحداه إذا ما حضر من منفاه وأطلب إليه أن يتناول هذا القفاز ليؤكد شرفه .

بولنجبروك : سيوقف كل هذا النزاع تحت التنفيذ حتى يستدعى نرفك من منفاه . وسيعود ، وعلى الرغم من أنه عدوى سترد له كل أملاكه وسلطته . وعند ما يرجع يا أومرل سنضطره للدفاع عن نفسه .

كارليل : إن هذا اليوم المكرم لن يأتى أبداً . فإن نرفك المنفى كثيراً ما حارب من أجل المسيح فى المواقع المجيدة للحروب الصليبية حاملا لواء صليب المسيحية ضد الوثنيين والأتراك والمسلمين ، وعند ما أنهكته هذه الحروب انسحب ليستجم ويستريح من عنائها فى إيطاليا وهناك فى مدينة البندقية سلم جسده لأرض هذه البلاد الطيبة وروحه الطاهرة لسيده المسيح الذى حارب تحت لوائه مدة طويلة .

بولنجبروك : وى أيها الأسقف ! هل مات نرفك ؟

كارليل : إنى أؤكد ذلك تأكيدى حياتى .

بولنجبروك : فليسبغ الله رحمته على روحه وينزلها فى جناته مع الشيخ الوقور سيدنا إبراهيم . أيها اللوردات المتغاضبين ستبقى

خلافاتكم مرهونة بالوقت الذى سنعينه للقضاء فيها .

(يدخل يورك ومعه تابع)

يورك : يا دوق لنكستر العظيم إنى قادم من رتشرد الذى فقد سلطانه والذى يختارك عن رضا لتكون وريثه وينزل عن صوبحانه ليدك الملكية فاصعد إلى العرش الذى ترثه عنه ، وليحى هنرى الذى سيدعى « هنرى الرابع » .

بولنجبروك : باسم الله سأصعد إلى العرش الملكى .

كارليل : وحق مريم لا سمح الله ! إسمحوا لى أن أتكلم مع أنى أقل المجتمعين فى هذه الحضرة الملكية استحقاقاً . ولكن أجدرهم بالكلام الحق . ولو كان فى هذا الجمع الشريف أى فرد بلغ من شرفه أن يكون قاضياً عادلا فى الحكم على أمر رتشرد النبيل . لقضى عليه شرفه الحق أن يعلن أو يعمل على إزالة هذا الظلم الفادح . فأى فرد من الرعية يستطيع الحكم على ملكه ؟ وأى فرد يجلس هنا ليس من رعية رتشرد ؟ إن سفلة القوم من اللصوص لا يحكم عليهم إلا بعد سماع أقوالهم وهم حاضرون حتى لو كانت ذنوبهم واضحة . وهل صورة جلال الله وضابطه وخادمه ونائبه المختار الذى مسح بالزيت المقدس وأجلس على العرش عدة سنوات . يحكم عليه فرد من أفراد الرعية أقل منه قدسية . وهو نفسه غير حاضر ؟ معاذ الله أن يكون فى أرض مسيحية مهذبة النفوس . أناس يباشرون عملا

شائناً مزرياً قبيحاً كهذا ، إنى أتحدث للرعية وباعتبارى فرداً منها أتكلم : إن سيدى لورد هرفورد هنا الذى تدعونه ملكاً ، إن هو إلا خائن لملك هرفورد الجليل . فإذا ما توجتموه فإنى أتنبأ لكم بأن دم انجلتره سيغمر الأرض ، وتئن الأزمان المستقبلة من هذا العمل المزرى . وسيذهب السلم إلى الأتراك والكفرة . ويحل محله حروب شعواء تستعر نيرانها بين أفراد الأسرة الواحدة وبين جميع أفراد الشعب . وتشيع الفوضى والفظائع والخوف والثورة فى هذه الأرض . وستدعى ميدان جلجوثا[1] أو جماجم الرجال . فإذا آثرتم هذه الأسرة على تلك فستكون أسوأ تفرقه وتنابذ حل بهذه الأرض الملعونة . فامنعوه وقاوموه وقفوا فى وجهه حتى لا تصيح الذرية فى وجوهكم قائلة « ويل لكم » .

نرثامبرلند : لقد أحسنت الدفاع يا سيدى ومكافأة على ذلك نقبض عليك هنا بتهمة الخيانة العظمى . يا سيدى لورد وستمنستر نكل إليك الاحتفاظ به حتى يحين يوم محاكمته . هل تسمحون أيها اللوردات بإجابة مطلب النواب ؟

بولنجبروك : أحضروا رتشرد هنا حتى يتنازل على مرأى من الجميع وحتى لا يتطرق الشك فى أمورنا .

يورك : سأكون مرشده . (يخرج)

---

(١) جلجوثا هو الميدان الذى صلب فيه المسيح على رأى النصارى .

بولنجروك : أيها اللوردات المقبوض عليهم هنا . قدموا كفالاتكم حتى يأتى يوم القضاء فى أمركم ، فإنا لسنا مدينين بأى حب منكم لنا ، ولم ننتظر مساعدتكم .

(يعود يورك ومعه الملك رتشرد وضباط يحملون التاج . . . الخ) .

الملك رتشرد : واحسرتاه ! لماذا أرسل إلى لأحضر أمام ملك من قبل أن أنفض عن نفسى سلطتى الملكية التى حكمت بها ؟ فلم أتعلم بعد أن أخفف الوطء أو أتملق أو أحنى رأسى وأجثو على ركبتى . اسمحوا للحزن فترة يعلمنى فيها هذا الخضوع على أنى أذكر قسمات هؤلاء الرجال هنا . أفلم يكونوا من أتباعى ، وألم يهتفوا لى مرة « مرحباً » . ولكن هكذا صاح يهوذا فى وجه المسيح . ولكن هذا وجد الصدق فى الجميع ما عدا واحداً . وأنا لا أجد واحداً صادقاً فى اثنى عشر ألف رجل . فليحفظ الله الملك . أليس من بينكم رجل واحد يقول « آمين » ؟ وهل أنا القسيس والكاهن؟ فليحفظ الله الملك . ولو أنى لسته ومع ذلك أقول « آمين » إذا كان الله يظن حقيقة أنى أنا الملك . لأى أمر أتى بى هنا ؟

يورك : لتقدم بنفسك وبمحض رغبتك تلك الأعباء الملكية التى نئت بها ، وهى التنازل عن العرش والتاج إلى هنرى بولنجبروك .

الملك رتشرد : ناولنى التاج . هاك يا بن عمى اقبض على التاج .

هيا يا بن عمى ضع يدك فى هذه الجهة وأضع يدى فى الجهة الأخرى . إن هذا التاج الذهبى مثله مثل بئر عميقة لها دلوان يملأ أحدهما الآخر ، والفارغ منهما يصعد فى الهواء والآخر يهبط إلى أسفل ويمتلىء بالماء بدون أن يرى . وهذا الدلو الأسفل المملوء بالدموع إنما هو أنا الذى أشرب منه همومى ، فى حين أن دلوك يصعد إلى العلا .

بولنجبروك : كنت أظن أنك تريد التنازل .

الملك رتشرد : إنى راض بالتنازل عن تاجى . ولكن أحزانى ما زالت لى . قد تغتصبون منى أبهة الملك وجلاله ، ولكنكم لا تأخذون منى همومى لأنى ما زلت ملكها .

بولنجبروك : ستعطينى مع تاجك بعض همومك .

الملك رتشرد : إن همومك التى ترتفع لا تنزع شيئاً من همومى الهابطة . إن متاعبى فى فقدان الأعباء التى نؤت بها فى الماضى . أما المتاعب التى جاءتك فردها إلى أعبائك الجديدة التى ارتضيتها . وإنى أعطيك ما عندى من المتاعب ولو أنها تبقى فى نفسى ، ومع أنها تخص التاج فإنها ما زالت باقية معى .

بولنجبروك : هل أنت راض بالتنازل عن التاج ؟

الملك رتشرد : نعم ، لا ، لا ، نعم إذ يجب أن أكون لا شىء إذن يجب ألا يكون فى الأمر لا ، لا ، لأنى أتنازل لك . والآن فالحظ كيف أخلع عن نفسى كل الصفات الملكية .

إنى أخلع هذا الحمل الثقيل عن رأسى وأعطيه لك . وهذا الصوبحان من يدى والنفوذ الملكى من قلبى . وبيدى أسلم تاجى ، وبدموعى أغسل الزيت المقدس (الذى مسحت به) وبلسانى أنبذ ملكى المقدس ، وأبرئ ذمة كل رعاياى من عادات احترامى التى يقتضيها واجبهم نحوى . وأحنث بقسمى ، وأنفض عن نفسى كل أمارات الأبهة والعظمة التى كانت لى وأنزل عن أملاكى وإيجاراتى وإيراداتى وأنكر كل قوانينى ونظمى الأساسية . وليغفر الله لكل من حنث بأيمانه لى ، وليحفظ الله كل من لم يحنثوا وأقسموا يمين الولاء لك . وليجعلنى الله وأنا صفر اليدين قادراً على ألا أحزن على شىء . ويجعلك راضياً عن كل ما كسبته ، وليطل أجلك وأنت جالس على عرش رتشرد ، وتضع رتشرد سريعاً فى قبر من الثرى ويقول رتشرد المخلوع « فليحفظ الله الملك هنرى ويجعل أيامه سعيدة » وما الذى يبقى ؟

نرثأمبرلند : لم يبق شىء أكثر من أن تقرأ . (يقدم له ورقة) هذه هى الاتهامات . وهذه الآثام الخطيرة التى اقترفتموها أنتم وأتباعكم نحو الحكومة وصالح الدولة . حتى إذا ما اعترفتم بها تقتنع النفوس بأنكم خلعتم عن حق .

الملك رتشرد : هل أنقض غزلى أنكاثاً . ذلك الغزل الذى نسجه حتى يا نرثأمبرلند اللطيف ، هل إذا دونت ذنوبك على الورق

أفلا تستاء خزياً من إذاعتها على هذا الجمع الشريف ؟
فإذا رضيت بذلك وجدت من بينها ذنباً خطيراً وهو إقالة
ملك والحنث بقسم مغلظ مجلل بالعار وملعون فى كتاب
الله . لا أقول ذلك عنه فحسب بل كلكم الواقفون هنا
وتنظرون إلى تعسى الذى قضى على نفسى ، بعضكم
شأنه كشأن بلوتس Pilate يتنصل من هذا العمل مظهراً
الشفقة غير أن كلكم مثله أسلمتمونى إلى الصليب القاسى ،
ولا يمكن أن يغسل الماء إثمكم .

نرثأمبرلند : يا سيدى أسرع واقرأ هذه التهم .

الملك رتشرد : إن عينى مغرورقتان بالدموع ولا أستطيع الإبصار ،
ولكن المياه الملحة لا تفقدهما الإبصار كثيراً ويتسنى لهما أن
تريا بعض الخونة هنا ، على أنى إذا حولت نظرى إلى
نفسى وجدتنى خائناً مثلهم لأنى رضيت أن أخلع عن
نفسى رداء الملكية العظيم ، وازدريت المجد وجعلت المالكية
عبداً رقيقاً ، ومن جلالة الملك رعية ، ومن شرفها
قرويا (ضعة)

نرثأمبرلند : . سيدى . . . . .

الملك رتشرد : لست سيدك أيها الرجل الصلف ، ولست سيد أى رجل .
فليس لى اسم وليس لى لقب . لا . وليس لى الاسم الذى
سميت به عند التعميد ولكنه اغتصب منى . تعساً لذلك
اليوم البائس الذى جعلنى أقضى سنين عديدة ، وأصبحت

الآن لا أعرف أى اسم أسمى به نفسى . ليتنى كنت ملكاً هزؤاً من الثلج واقفاً أمام شمس بولنجبروك فأذوب نقطاً من الماء ! ملك عظيم ! ملك طيب ومع ذلك فليس عظيم الطيبة .
وإذا كانت كلمتى ما زالت نافذة فى انجلترة فعلى بمرآة فى الحال حتى أنظر فيها لأرى أى وجه أصبح لى الآن بعد أن أفلس من جلاله .

بولنجبروك : فليذهب أحدكم ويأتى بمرآة (يخرج تابع) .

نرثأمبرلند : اقرأ هذه الورقة ريثما تحضر المرآة .

الملك رتشرد : أيها الشيطان إنك تعذبنى قبل أن أرد جهنم !

بولنجبروك : لا تزد فى إلحاحك يا لورد نرثأمبرلند .

نرثأمبرلند : لن يقتنع النواب إذاً .

الملك رتشرد : سيقتنعون وسيكون فى مكنتى القراءة عند ما أبصر وجهى الحقيقى الذى خطت عليه كل ذنوبى ، ألا وهو نفسى .
(يدخل التابع ومعه المرآة)
أعطنى المرآة وسأطالع فيها : ليس فى وجهى تجعدات أكثر عمقاً بعد ، ولم تحدث كل هذه الضربات الكثيرة فى وجهى جروحاً أعمق ؟ وى أيتها المرآة المتملقة التى تخدعيننى كمداهنى أيام سعادتى ! هل كان هذا الوجه هو الوجه الذى كان يحتفظ تحت سقف بيته بعشرة آلاف من الرجال ؟ وهل كان هذا الوجه هو الوجه الذى كان

مثل الشمس يجعل نظر من ينظر إليه خاسئاً حسيراً ؟ وهل كان هذا الوجه هو الوجه الذى أشرف على كثير من ضروب الرعونة والطيش ، والآن ازدرى به بولنجبروك ؟ إن مجداً هشاً يضيء فى هذا الوجه . وهذا الوجه هش مثل ذاك المجد .

(يقذف بالمرآة إلى الأرض)

هيا انظروا إليها وقد كسرت عشرين شظية : وتأمل أيها الملك الصامت مغزى هذا اللعب ، وكيف أن أحزانى جعلتنى أهشم هذه المرآة التى انعكست فيها صورة وجهى .

بولنجبروك : إن عملك الذى أردت أن تظهر به حزنك هشم الصورة المنعكسة لوجهك .

الملك رتشرد : أعد على ما ذكرته . صورة حزنى ؟ فلنر : فى الحق أن حزنى يقبع جميعه فى ثنايا جسمى . وهذه الأمارات الظاهرة لندب حالتى إن هى إلا تظاهر للهم المستتر الذى ينتفخ ساكناً فى الروح المعذبة فهناك خلاصتها . وإنى أشكرك أيها الملك الكريم لكرمك العظيم الذى لم يسمح لى بندب حظى فحسب ، بل علمنى وسيلة رثائه ؛ وإنى أرجو منك منحة واحدة أعزب بعدها ، ولا أضايقك ، فهل أنالها ؟

بولنجبروك : قلها يا بن العم الشريف .

الملك رتشرد : ابن عمى الشريف ، إنى أعظم من ملك ، لأنى عند ما

كنت ملكاً كان متملقى حينئذ رعايا لى . أما وقد أصبحت الآن فرداً من أفراد الرعية فإن مداهنى ملك . ولما كنت عظيماً فليست بى حاجة للاستجداء .

بولنجبروك : ومع ذلك فاطلب .

الملك رتشرد : وهل أنال ما أطلب ؟

بولنجبروك : أجل .

الملك رتشرد : إذن فاسمح لى أن أعزب .

بولنجبروك : وإلى أى جهة ؟

الملك رتشرد : فى أى جهة تريدها على شريطة أن أعزب عن وجوهكم .

بولنجبروك : فليذهب بعضكم وينقله إلى القلعة (قلعة لندن) .

الملك رتشرد : حسناً ، انقلوه كلكم يا من ترتفعون بسقوط ملك مخلص ، أيها الناقلون للأموال (اللصوص)

(يخرج الملك رتشرد وبعض اللوردات وحارس) .

بولنجبروك : لقد حددنا يوم الأربعاء المقبل للاحتفال رسمياً بتتويجنا . أيها اللوردات أعدوا أنفسكم .

(يخرج الجميع ما عدا أسقف كارليل ورئيس دير وستمنستر وأومرل)

رئيس الدير : لقد نظرنا منظراً كئيباً هنا .

كارليل : إنما الكآبة ستأتى بعد . فإن الأطفال الذين لم يولدوا بعد سيتأثرون بهذا اليوم كأنه شوكة فى أجسامهم .

أومرل : أيها القسس القديسون هل من وسيلة تتخلص بها الدولة من هذه الفضيحة المنكرة ؟

رئيس الدير : سيدى قبل أن أدلى برأيى صراحة لك فى هذا يجب ألا تتناول سوى القربان المقدس فحسب حتّى تحتفظ بسر أغراضى ، بل تنفذ كل تدبيرى . لأنى ألمح فى جبينك عدم الرضا ، وفى قلبك حزناً ، وفى عينيك دموعاً . هيا معى لنتناول العشاء وسأضع أمامك تدبيراً ينجم عنه السرور لنا جميعاً .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

لندن — شارع موصل إلى قلعة لنْدن

(تدخل الملكة ومعها سيدات) .

الملكة : إن الملك قادم من هذا الطريق . هذا هو الطريق إلى القلعة التى أنشأها يوليوس قيصر لأغراض خبيثة . هذه القلعة المتينة الأركان التى حكم بولنجبروك الصلف على سيدى بالسجن فيها . ذرنى أسترح هنا إذا كانت هذه الأرض الثائرة ترضى باستراحة ملكة مخلصة عليها . ولكن رويدكن ، وانظرن أو بالأحرى لا تنظرن وردتى الجميلة (رتشرد) تذبل . ومع ذلك فتطلعن والحظن ذبولها حتى تستحيل شفقتكن دموعاً تنزل عليها فتصبح نضرة من دموعكن التى مبعثها الحب الصادق .

(يدخل الملك رتشرد وحراسه)

وأسفاه لذلك الطود الشامخ الذى تهدم كتهدم مبانى طروادة ، أيتها القلعة التى أصبحت رسماً للشرفِ ، يا قبر

الملك رتشرد الذى صار خيالا لنفسه ، ويا من كنت أجمل مثابة ، لماذا يأوى إليك الحزن الكئيب ، ويسكن بين جدرانك فى حين أن أناساً مر ذولين كأعداء رتشرد يسمرون ويقصفون ابتهاجاً بنجاحهم ؟

رتشرد : لا تشاركينى الهمّ أيتها السيدة الظريفة . وكفى عن ذلك وإلاعملت على الإسراع فى انتهاء أجلى . إسراعاً مفاجئاً . تعلمى أيتها المرأة الصالحة أن تتصورى أن حالتنا السابقة كانت حلماً سعيداً استيقظنا منه فوجدنا حقيقة أمرنا هذا الذى نحن عليه . أيتها اللطيفة إنى صديق مخلص « للحاجة » المتجهمة . وبينى وبينها عهد حتى الممات . هيا فارحلى إلى فرنسا . واسكنى بيتاً من بيوت الدين (الدير) وبالتقوى لا بد أن نكسب تاجاً فى الدار الآخرة بما أننا فقدنا تاجنا فى حياتنا الدنيوية .

الملكة : وى ! هل تبدلت حال زوجى رتشرد وتغير عقله ؟ هل اغتصب منه بولنجبروك تفكيره ؟ وهل نفذ إلى قلبه ونزع منه الكرامة الملكية ؟ إن الأسد عند ما يغضب من التغلب عليه يهجم وهو فى حالة النزع على صخـــور الأرض ويهشمها .
أترى تحذو أنت حذو التلميذ وتقابل عقابك بالرفق ، وتقبل العصا التى ضربت بها ، وتسيطر على غضبك بذل محتقر وأنت الأسد ملك الوحوش ؟

رتشرد : ملك الوحوش حقاً . ولولا هذه الوحوش لظلات ملكاً سعيداً للرجال .

أيتها الصالحة يا من كنت ماكة تأهبي للسفر إلى فرنسا . وتخيلي أني قد مت وكأنك الآن هنا تودعينى الوداع الأخير وأنا فى الاحتضار . واجلسى هناك فى ليالى الشتاء المملة بجانب موقد النار مع أناس طيبين واجعليهم يقصون عليك مآسى العصور السابقة الكئيبة . وقبل أن تودعيهم فى المساء قصى عليهم قصتى البائسة ، فعند ذلك ينسون أحزانهم ويذرفون الدمع من أجلى وهم ذاهبون إلى مضاجعهم ، لأنه حتى الخشب الجماد نفسه الذى يحترق فى هذه النار سيتأثر بلهجة لسانك الحزينة ويذرف الدمع أسى علينا ، وبعضه سيستحيل رماداً من الحزن ، والآخر سيصير كالفحم الأسود أسى على عزل ملك شرعى .

(يدخل نرثأمبرلند ومعه تابع) .

نرثأمبرلند : يا سيدى ، لقد عدل بولنجبروك عن رأيه ويرى أن تذهب إلى بمفرت بدلا من قلعة لندن . وأنت أيتها السيدة قد أتخذ من التدبير ما يجعلك تبرحين انجلترة سريعاً إلى فرنسا .

رتشرد : أى نرثأمبرلند ، يا من كنت سلماً صعد عليه بولنجبروك مرتفعاً إلى عرشى ، لن تنقضى عدة ساعات من الآن حتى تتجمع الآثام الخبيثة وتنشر الدمار والفساد . ويجب أن تفكر فى أنه لو قسم بولنجبروك ملكه مناصفة بينك وبينه

فإن ذلك أقل مما تستحقه لأنك أنلته كل الملك . وسيفكر هو فيما بينه وبين نفسه فى أنك أنت الذى تعرف الوسيلة لإجلاس ملوك غير شرعيين على العرش ، عند أية بادرة قليلة من الغضب ستكون لك وسيلة أخرى لأن تقذف به من فوق عرشه المغتصب . إن حب الأصدقاء الخبثاء ينقلب إلى خوف ، وهذا الخوف يستحيل كرهاً . وهذا الكره يجعل الرجلين خطراً أحدهما على الآخر . وقد يقتل بعضهما بعضاً جزاء وفاقاً .

نرثأمبرلند : إنى أتحمل تبعة إثمى وفى هذا الكفاية ، فاستودع ثم ارحل إذ يجب أن يكون ذلك حالا .

رتشرد : طلاق مضاعف . أيها الأشرار لقد انتهكتم حرمة زواجين إذ فرقتم بينى وبين تاجى ، وبينى وبين زوجتى . (إلى الملكة) ذرينى أنقض العهد بينى وبينك ولكن لن يكون ذلك لأننا أكدنا هذا العهد بقبلة . ولقد فرق بيننا نرثأمبرلند فأنا ذاهب إلى الشمال حيث زمهرير البرد وما ينجم عنه من المرض ، وامرأتى ذاهبة إلى فرنسا التى جاءت منها ببهائها مثل الربيع وترجع إليها الآن كئيبة كالخريف أو الشتاء عند أقفر يوم فى السنة .

الملكة : هل لا مناص من الانفصال والتفرقة ؟

رتشرد : أجل ، يدك عن يدى يا حبيبتى وقلبك عن قلبى .

الملكة : انفونا نحن الاثنين معاً وأرسلوا الملك معى .

نرثأمبرلند : قد يكون فى ذلك بعض العطف ، ولكن ليس فيه إلا القليل من الحكمة .

الملكة : إذن فحيثما يذهب ذرونى أذهب معه .

رتشرد : فباجتماعنا يكون حزننا حزناً واحداً .
اذهبى أنت إلى فرنسا وابكى من أجل بثى وحزنى . وسأبكى من أجل همك هنا ، وخير لك أن تكونى بعيدة عنى ، ولست قريبة منى ، لأنك لو بقيت فى انجلترة لكانت التفرقة أشد لوعة . اذهبى وأحصى خطأك بالأنات وسأحصى خطاياى بالتحسرات .

الملكة : وسيكون أطول الطرق أكثرها أنيناً .

رتشرد : سأتأوه مرتين فى كل خطوة ، لأن الطريق قصير . وسأكمل ما نقص من طول الطريق بقلب مفعم بالكمد . هيا ، هيا ، إذ يجب أن نقتصد فى التشبيب بالحزن ، إن قبلة واحدة ستسكتنا وننفصل أبكمين (يقبل بعضهما بعضاً) بهذه أعطيك قلبى وأنت تعطيننى قلبك .

الملكة : أعطنى قبلة ثانية ، ليس من العمل الصالح أن تأخذ قلبى وتقتل قلبك (يقبل بعضهما بعضاً مرة ثانية) وهأنذا استرددت الآن قلبى فارحل حتى أحاول أن أقتله بأنة حزينة .

رتشرد : إننا نتهور فى حزننا ونطيش بهذا التأخر الأحمق . فوداعاً مرة ثانية واتركى ما بقى لينبئنى عنه الهم والكمد . (يخرجون)

المنظر الثانى

قصر دوق يورك

(يدخل دوق يورك وزوجته)

الدوقة : لقد قلت إنك ستخبرنى ببقية القصة التى قطعتها عند ما بكيت — تلك قصة حضور ولد عمى إلى لندن .

يورك : وفى أى موضع قطعتها ؟

الدوقة : عند تلك المرحلة الكئيبة يا سيدى عند ما رمت أيدى الرعاع ، الذين أسىء حكمهم ، من نوافذهم الثرى والقشاشات على رأس الملك رتشرد .

يورك : عندئذ كما قلت جاء بولنجبروك العظيم ممتطياً صهوة جواد سرحوب شرس كان راكبه الطموح يعرف ذلك عنه ، واستمر فى خطاه المتأنقة يقطع طريقه . وقد صاحت جميع الألسنة « فليحفظك الله يا بولنجبروك » وقد كان يخيل إلىَ أن النوافذ نفسها تتكلم لأن كثيراً من النظرات المتلهفة خلال الشبابيك الزجاجية من الشيوخ والشبان كانت تطلع على وجهه ، وكل الحيطان التى ازدانت بالمنسوجات المنقوشة كان مكتوباً عليها « فليحملك عيسى ! » « مرحبا بك يا بولنجبروك » . وقد كان يدير رأسه العارى ذات اليمين وذات الشمال . وكان بولنجبروك منحنياً تواضعاً حتى كان رأسه أسفل من رأس جواده الفاره ويخاطب الجميع

قائلا « أشكركم يا مواطنى » وما زال مكرراً ذلك وسار لا يلوى على شىء .

الدوقة : واسوأتاه يا رتشرد ، وأين ركب رتشرد فى أثناء ذلك ؟

يورك : كانت حاله حال الممثل فى مسرح التمثيل فإن الممثل بعد أن يترك المسرح وهو ممثل بارع محبوب يعود النظارة فينظرون إليه غير مكترثين له ويزدرونه قليلا أو كثيراً لأنهم يرون تمثيله ثرثرة مملة وتشرئب أعناقهم إلى غيره ممن يأتى بعده . كذلك تجهمت الناس عند رؤية رتشرد ولم يصح أحد فليحفظه الله . ولم ينطلق لسان مسرور بالترحيب بعودته إلى وطنه . ولكنهم حثوا على رأسه المقدس التراب الذى كان يزيحه حزيناً واجماً . وكان وجهه يناضل بين دموعه وبسماته . وهما أمارتا حزنه وصبره اللتين لولا أن الله لغرض قوى جعل قلوب الناس قاسية لكان من المؤكد أن تذوب هذه القلوب حسرة عليه ولأشفق عليه المتوحشون أنفسهم . ولكن لله يداً فى هذه الحوادث . ويجب أن نخضع لإرادته العالية ونرضى بأمره مطمئنين لأحكامه . ونحن الآن من رعايا بولنجبروك المطيعين ونعترف بسلطانه ومجده .

الدوقة : ها هوذا ابنى أومرل قادم .

يورك : أومرل الذى كان ، ولكنه فقد لأنه كان صديق رتشرد ، ويجب أن تدعيه الآن رتلند ، ولقد أخذ على عهد فى

البرلمان على ولائه وإخلاصه الدائم للملك الجديد .

(يدخل أومرل)

الدوقة : مرحباً بك يا ولدى . من هم أولئك المحظوظون الذين يتوددون إلى الملك الجديد وينالون حظوته ؟

أومرل : يا سيدتى لا أعرف ، ولا يهمنى كثيراً معرفته . ويعلم الله أنى لا أود عن طيب خاطر أن أكون أحدهم .

يورك : سر سيراً مرضياً فى هذا العهد الزاهر لئلا تجتث وتزال من من الوجود قبل أن يتم نضجك . هل لديك أخبار من أكسفورد ؟ أتقام هناك حفلات الفروسة ؟

أومرل : مبلغ علمى أنها ستقام يا سيدى .

يورك : إنى أعرف أنك ستكون هناك .

أومرل : إذا أراد الله فإنى معتزم ذلك .

يورك : ما هذه الشهادة التى تعلقها على صدرك ؟ ولماذا ياوح على أسارير وجهك الاضطراب ؟ ذرنى أنظر الكتابة .

أومرل : إنها لا شىء يا سيدى .

يورك : إذاً فلا يهم رؤية أحد لها . لا بد من أن أقتنع فذرنى أنظر الكتابة .

أومرل : أرجو أن تعفينى من ذلك . إنه لأمر غير ذى بال . وأريد لأسباب ما ألا يطلع عليها أحد .

يورك : ولكن لبعض الأسباب لا بد لى من تصفحها ، إذ أنى أخشى ، أخشى . . .

الدوقة : وما الذى تخشاه ؟ إنه عهد ارتبط به ليلبس الملابس الفاخرة يوم النصر .

يورك : عهد ارتبط به ، وما حاجته للارتباط بعهد ؟ إنك حمقاء يا زوجتي . دعني أطلع على الكتابة أيها الفتى .

أومرل : أرجو أن تعفيني من أن أريك الكتابة .

يورك : لا بد من أن أقتنع فلأنظرها (يخطف الورقة ويقرؤها) . خيانة ! خيانة مرذولة أيها الشرير ! أيها الخائن ! أيها العبد الرقيق !

الدوقة : ما الخبر يا سيدى ؟

يورك : من الداخل هناك ؟

(يدخل خادم)

أسرج حصانى .

وا رحمة الله ! أية خيانة هنا !

الدوقة : وى ! ما الذى حصل يا سيدى ؟

يورك : (إلى الخادم) ناولنى حذائى وأسرج حصانى . فبحق شرفى وحياتى لأفضحن هذا الشرير وأبلغن عنه .

الدوقة : ما الخبر ؟

يورك : صه أيتها المرأة الحمقاء .

الدوقة : لن أسكت . ما الخبر يا ولدى ؟

أومرل : هدئى روعك أيتها الأم الطيبة . إنه لا شىء أكثر من تهديد حياتى .

الدوقة : تهديد حياتك ؟ !

يورك : هيا ناولنى حذائى وسأذهب للملك .

(يرجع الخادم ومعه الحذاء)

الدوقة : أحزين يا أومرل ؟ أيها الولد المسكين إنك لمدهوش . (إلى الخادم) اعزب من هنا أيها الشرير ولا تدعنى أرى وجهك .

يورك : ناولنى حذائى .

(يخرج الخادم)

الدوقة : وى يورك ! ما الذى عزمت على فعله ؟ أفلا تخفى ذنب ابنك ؟ وهل لنا أولاد آخرون ؟ أو هل من المحتمل أن يكون لنا أولاد ؟ وهل تريد أن تحرمنى ابنى ، وتنغص علىَّ أمومتى ؟ أليس هو يشبهك وأليس هو ولك ؟

يورك : أيتها المرأة الحمقاء المخبولة ، هل تريدين أن تخفى هذا التآمر المرذول ؟ فلقد تناول اثنا عشر منهم العشاء الربانى وتعهدوا فيما بينهم أن يقتلوا الملك فى أكسفورد .

الدوقة : لن يكون ولدى أحد هؤلاء الأفراد المنفذين لهذه المؤامرة وسنحتفظ به هنا وإذاً فلا يكون له علاقة بها .

يورك : إليك عنى أيتها المرأة الحمقاء ، لو أنه كان ولدى عشرين مرة لفضحت أمره .

الدوقة : لو أنك تألمت عند وضعه كما تألمت لكنت أكثر شفقة عليه

يورك : أفسحى الطريق أيتها المرأة الشَّكِسة . (يخرج)

الدوقة : اتبعه يا أومرل ، وامتط صهوة هذا الجواد وسر مسرعاً ، وصل إلى الملك قبله ، واطلب عفوه قبل أن يتهمك . وسأسير فى إثرك سريعاً . وعلى ما بى من الكبر لن أتاخر طويلا عنك . ومع كبر سنى فإنى لا أشك فى أنى سأسير بسرعة يورك . وأجثو أمام بولنجبروك ولا أقوم حتى يعفو عنك .

المنظر الثالث

وندسور — حجرة فى القلعة

(يدخل بولنجبروك ملكاً وبرسى ولوردات آخرون)

بولنجبروك : ألا يستطيع أحد أن ينبئنى عن حال ولدى الفاحش ؟ لم أره منذ ثلاثة شهور كاملة ولا شيء ينغص على حياتى سواه . وإنى أطلب إلى المولى يا سادة أن يوفقنا للعثور عليه . فاسألوا عنه فى لندن فى الحانات فإنهم يقولون إنه يتردد عليها يومياً ومعه أصحاب سفهاء مرذولون ، أولئك الذين يشاع عنهم أنهم يتربصون فى الأزقة الضيقة ، ويضربون حراسنا ويسرقون المارة . وهذا الفتى النزق المخنث يأخذ على عاتقه معاونة هذا الجمع الفاسق على ارتكاب معاصيه .

برسى : لقد رأيت الأمير يا سيدى منذ يومين وأخبرته عن الحفلات التى ستقام فى أكسفورد .

بولنجبروك : وما الذى قاله ذلك الظريف ؟

برسى : كان جوابه أنه سيغتصب من أحط رجل قفازه ويلبسه أمارة مودة منه ، ثم ينازل أقوى فارس وينزله من فوق صهوة جواده ويغلبه .

بولنجبروك : إن حمقه وتهوره متعادلان . غير أنى ألمح فى خلالهما شرارة من أمل حسن ، قد تندلع اندلاعاً حسناً على كر الأيام . لكن من القادم هنا ؟

(يدخل أومرل مسرعاً)

أومرل : أين الملك ؟

بولنجبروك : ما الذى يقصده ابن عمى بنظراته هذه المحدجة الزائغة ؟

أومرل : فليحفظ الله جلالتكم . إنى ألتمس من مولاى أن يسمح لى ببعض كلمات على انفراد .

بولنجروك : انسحبوا جميعاً واتركانا منفردين

(يخرج برسى واللوردات)

والآن ما شأن ابن عمى ؟

أومرل : ستلتصق ركبتاى بالأرض (يركع) ويلتصق لسانى بسقف حلقى حتى يغفر لى ذنبى قبل أن أقوم أو أتكلم .

بولنجبروك : هل شرع فى ارتكاب هذا الإثم أو ارتكب بالفعل ، فإن كان الأول فإنه مهما كانت شناعته فإنى أغفر لك كسباً لمحبتك فيما بعد .

أومرل : إذاً فاسمح لى أن أغلق الباب بالمفتاح حتى لا يدخل علينا

أحد وحتى أنتهى من سرد قصتى .

بولنجبروك : لك ما رغبت فيه (يغلق أومرل الباب) .

يورك : (من الداخل) احترس يا مولاى ، تيقظ فإن خائناً فى حضرتك .

بولنجبروك : أيها الشرير لأجعلنك غير قادر على إيذائى (يسل سيفه) .

أومرل : تريث فى انتقامك فليس لدى ما تخشاه منى .

يورك : (من الداخل) افتح الباب أيها الملك المهمل الطائش . هل لى كأحد رعاياك المحبين أن أفضح سر مؤامرة مدبرة عليك ؟ افتح الباب وإلا كسرته لأفتحه . (بولنجبروك يفتح الباب ثم يغلقه مرة ثانية) .

(يدخل يورك)

بولنجبروك : ما الذى حدث يا عمى ؟ استرد أنفاسك ثم تكلم ، ونبئنى بمقدار قرب الخطر منا حتى نستعد له ونكافحه .

يورك : اقرأ هذا العهد وستعرف منه الخيانة التى منعتنى سرعتى من القدرة على فضحها .

اومرل : تذكر عند ما تقرأ ما وعدت به . فلقد تبت فلا تقرأ اسمى من بينها ، إن قلبى ليس متحالفاً ويدى .

يورك : لقد كان ذلك أيها الوغد الخائن قبل أن تخطه يدك . لقد نزعته من فوق صدر هذا الخائن أيها الملك . إنه الخوف وليس الحب الذى جعله يندم . فإياك أن تشفق عليه لئلا تكون شفقتك كالأفعى الذى يلدغك فى صدرك .

بولنجبروك : ما أفظعها من مؤامرة طائشة جريئة .
أيها الوالد لابن خائن ! أيها المنبع الصافى النقى الذى نبع منه ذلك النهر وسار فى مجارى كدرة عاقت جريانه ولوثته . إن فيضانك الطيب استحال إلى سوء فى ولدك . وأعمالك الصالحة الكثيرة ستغفر لولدك الضال مسلكه الممقوت .

يورك : إذاً ستكون فضيلتى حارسة لرذيلته . ويتصرف فى شرفى تصرفاً مشيناً كما يتصرف الأولاد المسرفون فى اقتناص ذهب آبائهم . فإذا ما رخص لهذا الولد أن يعيش ويستمر فى سيرته غير الشريفة فسيقضى على اسمى الشريف .
إنك تقضى على حياتى لو أبقيته حياً . لأنك بإبقائه حياً تبقى الخائن . وتقتل الرجل المخلص .

الدوقة : (من الداخل) يا هُياه . يا سيدى بالله عليك اسمح لى بالدخول .

بولنجبروك : أى متوسل ذى الصوت المجلجل هذا الذى يصيح هذا الصياح المتلهف ؟

الدوقة : إنها امرأة . وهى عمتك أيها الملك العظيم . إنه أنا . تكلم معى . وأشفق على وافتح الباب . إنه سائل لم يسأل أحداً من قبل .

بولنجبروك : إن المنظر قد تغير من منظر رزين . واستبدل به منظر السائلة والملك .(١)

---

(١) يشير هذا إلى قصة الملك كوفتيا (Cophetue) والفتاة السائلة التى تزوجها .

يابن عمي الخطر ، أدخل والدتك . إني أعرف أنها أتت
لترجو العفو عن إثمك المزرى

(يفتح أومرل الباب)

يورك : لو أنك غفرت لكل من يطاب غفرانك فقد تكثر الآثام من أجل هذا . انزع هذا العضو الفاسد تنج الأعضاء الأخرى فلو تركته لتعفن وأفسد الأعضاء الأخرى

(تدخل الدوقة)

الدوقة : أيها الملك لا تصدق هذا الرجل الغليظ القلب ، لأنه إذا كان لا يحب من تجب عليه محبته فكيف يحب غيره .

يورك : أيتها المرأة المخبولة ما شأنك هنا ؟ هل تستطيع شيخوختك تربية خائن آخر ؟

الدوقة : مهلا يا يورك الطيب ، وكن صبوراً . أنصت إلى أيها الملك الرحيم (تركع) .

بولنجبروك : قومى يا عمتى الطيبة .

الدوقة : لا ، لأنى متوسلة ، وسأظل جاثية على ركبتى ولا أنظر إلى ما ينظر إليه السعداء حتى تدخل السرور على وتأمرنى بأن أتمتع بالفرح بالعفو عن ولدى رتلند الآثم .

أومرل : وإنى أضيف إلى توسلات والدتى ركوعى على ركبتى (يركع) .

يورك : وإنى أخالفهما بالركوع على مفاصلى المخلصة (يركع) ولتسؤ مغبة أمرك إذا غفرت وصفحت عن أى شيء !

الدوقة : أجاد هو فى توصله ؟ انظر إلى وجهه . إن عينيه لم تذرف الدمع ، وكل رجائه هزل ، وكلماته تنبعث من لسانه لا من قلبه . إنه يتضرع تضرعاً خافتاً ولا بد من رفض طلبه . أما نحن فنتوسل بقلوبنا وأرواحنا وكل ما نملك ، وإنى أعرف أنه يسره أن يرفع مفاصله عن الأرض . أما نحن فسنجثو على ركبنا على الأرض حتى تزرع فيها . إن تضرعاته ملؤها النفاق الكاذب . أما توسلاتنا فمفعمة بالغيرة الحقة والإخلاص العميق . واستشفاعنا يفضل استشفاعه فليكن أثره إذن الرحمة التى يقتضيها صدق الاستشفاع .

بولنجبروك : أى عمتى الطيبة ، قفى .

الدوقة : لا . لا تقل « قفى » ولكن قل « قد عفوت » أولا وبعد ذلك « قفى » . ولو أنى كنت حاضنتك لعلمت لسانك أن أول كلمة ينطق بها هى « العفو » ولم أتق لسماع هذه الكلمة إلا الآن . فقل « عفوت » أيها الملك ، واجعل الشفقة تعلمك العفو . إن هذه الكلمة قصيرة ولكن قصرها لا يضارع طلاوتها . ولا تليق كلمة بملك مثل كلمة العفو .

يورك : قلها بالفرنسية أيها الملك وقل أعفنى

الدوقة : هل تعلمه كلمة « أعفنى » لتقضى على العفو ؟ أيها الزوج الشكس ، ويا سيدى الغليظ القلب الذى يناضل

بكلمة ضد كلمة ! (إلى بولنجبروك) انطق بكلمة العفو كفهومها فى بلادنا لأننا لا نفهم لغة الفرنسيس المتحذلقة المتأنقة . لقد أخذت عيناك تتكلم فانطق بلسانك أو أصغ بأذنك لما يشعر به قلبك الرحيم الذى يسمع شكوانا وتوسلاتنا التى تنفذ إليه فتبعثك الشفقة على العفو وتنطق بكلمة الغفران .

بولنجبروك : أيتها العمة الطيبة قفى .

الدوقة : إنى لم أتوسل إليك لأقف ، وكل ما أطلبه هو الصفح عنه

بولنجبروك : إنى أغفر له كما يغفر الله لى .

الدوقة : ما أسعدها ركبة جاثيـــة ! على أن الخوف ما زال ينتابنى ، أعد كلمة الغفران فإن تكرارها لايضاعف العفو بل يجعله مؤكداً .

بولنجبروك : بكل قلبى أغفر له .

الدوقة : إنك إله على الأرض .

بولنجبروك : أما من جهة صهرنا الأمين ورئيس الدير وسائر شرذمة المتآمرين فسيصيبهم الدمار سريعاً . أيها العم الطيب مر عدداً من الجنود بالسير إلى أكسفورد سريعاً أو أية جهة أخرى يقطن بها هؤلاء الخونة . وإنى أقسم بأنهم لن يعيشوا على ظهر هذه الأرض بل سآخذهم بذنوبهم عند ما أعرف مقرهم . وداعاً يا عمى ووداعاً يابن عمى ، لقد أحسنت والدتك شفاعتها لك فاسلك مسلك إخلاص .

الدوقة : هيا يا ولدى العزيز ، وإنى أطاب إلى المولى أن تستحيل فتى جديداً .

(يخرجون)

المنظر الرابع

حجرة أخرى فى المكان نفسه

(يدخل سير برسى وإكستن وخادم)

إكستن : هل أصغيت إلى الملك ؟ وهل الكلمات التى فاه بها كانت « أليس لى أصدقاء يخلصوننى من هذا الخوف الجاثم ؟ » أفلم تكن هذه كلماته ؟

الخادم : نعم هى كلماته نفسها .

إكستن : لقد قال « أليس لى أصدقاء ؟ » . وقد قالها مرتين وكررها مرتين معاً . أليس كذلك ؟

وعند ما قالها نظر إلى نظرة ذات مغزى . وكأنه يقول : « ليتك كنت الرجل الذى يقضى على هذا الخطر الجاثم على صدرى » ويقصد بذلك الملك فى بمفرت . فهيا نذهب إليه فإنى صديق بولنجبروك وسأقضى على خصمه .

المنظر الخامس

بُمفرت — مطبقة. (سجن مظلم فى القلعة)

(يدخل الملك رتشرد)

رتشرد : لقد كنت أفكر فى عقد موازنة بينه هذا السجن الذى أعيش فيه والدنيا ، ولكن لما كانت الدنيا مكتظة بالسكان فى حين أنه لا يقطن هنا فرد غيرى استحالت الموازنة ، ولكنى سأجد فيها . سأثبت أن أنثى الهموم التى تزوجت من روحى وأنجبا على الدوام ذرية من الأفكار ، وهذه الذرية سكنت هذه الدنيا الصغيرة . ولها ميول سكان العالم ، لأن النفس راغبة إذا رغبتها . وأحسن الناس من ذوى العقول الراجحة يخامرهم الشك ويخلطون العقائد ويتضاربون فى آرائهم فمثلا يقولون : « هيا احضروا يا أطفالنا الصغار » ثم يقولون « إنه يستحيل عليكم الحضور كما يستحيل إدخال الجمل فى سم الخياط » وبأفكارهم الطموح يدبرون العجائب المستحيلة فكيف يتسنى لهذه الأظافر الضعيفة العابثة أن تمزق ممراً فى أضلاع هذه الدنيا القوية التى هى حيطان سجنى البالية ، وبما أنها تقصر دون ذلك فإنها تموت فى كبريائها . أما ذوو الأفكار الفائقة فيخدعون أنفسهم بأنهم ليسوا أول من استعبدهم الحظ وليسوا آخر من نكل بهم ومثلهم مثل أولئك

المتكففين البلهاء الذين يقبعون فى أماكنهم ، ويسترون أحزانهم بأن كثيراً من الناس قد قعد مقعدهم وسيجلس غيرهم فيه . وتراهم مطمئنين لهذا الفكر ، ويحملون مصائبهم على ظهورهم كما تحملها غيرهم من قبلهم .

ولذلك فإنى أقوم بتمثيل دور عدة أشخاص لا يرضى أحدهم بحالته . فأحياناً أكون أنا الملك ، ثم تجعلنى الدسائس أود لوكنت متكففاً كما هو شأنى . ثم يحرضنى الفقر المدقع على أن أذكر أنى كنت أحسن حالا عند ما كنت ملكاً ، فأتصور نفسى ملكاً مرة ثانية ثم فيما بعد أفكر فى أن بولنجبروك عزلنى من الملكية . فأشعر تواً عند ذلك أنى لا شىء . ولكن مهما أكن فإنه لا أنا ولا أى إنسان آخر يجد لذة وسروراً دائمين ، حتى يفرج عنه بانقضاء أجـــله . هل أسمع موسيقى ؟ (موسيقى) ها ، ها ، اضبطوا النغم . ما أسوأ الموسيقى عند ما تسوء أحوال الزمن وتضطرب فيه الأمور ، وهكذا شأن موسيقى حياة الرجال . وإنى هنا عندى من دقة السمع ما يجعلنى أعد أخطاء الوتر الناشز .

أما من جهة موازنة حالى والزمن فلم تسمع أذنى أن وقتى الحق قد اضطرب لأنى ضيعت الزمن والآن ضيعنى الزمن إذ جعلنى كساعة أعد بها قطع فترات الزمن : فأفكارى هى الدقائق التى تُتَكتِك مرور الساعات أما

ناظرى فهما اللذان يرقبان العقارب على وجه الساعة ، وتنهداتى تشبه هزة الرقاص الذى يعد الثوانى وفى الوقت نفسه يرقب تحولها إلى دقائق على وجه الساعة . وهذه هى حالة عينى غير أن هذه تذرف الدمع وتُشغل أصابعى دائماً بعدّها بدل عدّ الأرقام التى لا أثر لها . ويا سيدى إن الصوت الذى ينبئنى عن الساعة هو مقدار أنانى الصاخبة التى تدق على قلبى الذى هو بمثابة الجرس ، وإن التحسرات والدموع والأنات تدل على الدقائق والزمن والساعات . ولكن زمنى يسير ببولنجبروك نحو المجد فى حين أنى أقف هنا هازلا مثل تمثال الرجل الذى يدق أرباع الساعة .(١)

إن هذه الموسيقى ستحيلنى مجنوناً . فأوقفوها عن الضرب ، فإنها وإن ساعدت المخبولين على استرداد قواهم العقلية ، فإن أثرها فى نفسى كما يخيل إلى يجعلنى أظن أنها تجعل العقلاء مجانين . على أنى أشكر من تفضل علينا بها لأنها أمارة مودة ، وإن الولاء لرتشرد فى هذه الدنيا التى انتشر فيها البغض والكراهية نادر ندرة الجواهر الثمينة .

(يدخل سائس)

السائس : تحية أيها الأمير الملكى .

رتشرد : أشكرك أيها السيد الشريف . إن أرخصنا تضاعفت قيمته

---

(١) تلك كانت الحال فى بعض الساعات القديمة .

فمن أنت ؟ وكيف استطعت الحضور إلى هذا المكان الذى لا يأتى إليه إلا ذلك الكلب الكئيب الذى يقدم إلىّ الطعام ليحافظ على بقاء تعسى ؟

السائس : إنى سائس فقير كنت أقوم على جيادك أيها الملك عند ما كنت ملكاً . وقد سافرت إلى يورك ، وحصلت بعد جهد وعناء طويل على إذن لرؤية وجه سيدى الملكى . وما كان أشد حزنى عند ما رأيت فى شوارع لندن . يوم الاحتفال بالتتويج . بولنجبروك راكباً على الفرس الأسمر — ذلك الجواد الذى طالما امتطيت صهوته . ذلك الحصان الذى كنت أقوم على نظافته ورعايته بعناية عظيمة .

رتشرد : وهل ركب هذا الجواد ؟ خبرنى أيها الصديق اللطيف كيف سار به الجواد .

السائس : كان يسير مزهواً بنفسه لأن بولنجبروك على ظهره .

رتشرد : إن هذا « الكديش » أكل الخبز من يدى الملكية ، تلك اليد التى جعلته يزهو بتربيبها عليه . فلِمَ لَمْ يتعثر ؟ ولماذا لم يَكبُ به (إذ أن الكبرياء مآلها إلى السقوط) ويكسر رقبة ذلك الرجل المتكبر الذى اغتصب متنه ؟ اغفر لى أيها الجواد ! فلماذا أقدح فيك وقد خلقت لأن تخاف الإنسان الذى يمتطى صهوتك ؟ لم أخلق حصاناً مع أنى أتحمل الأثقال مثل الحمار ويخزنى وينخسنى بولنجبروك المرح .

(يدخل السجان ومعه صحفة طعام)

السجان : (إلى السائس) أيها الفتى اخرج فإنك لن تمكث أكثر من ذلك .

رتشرد : إذا كنت تحبنى فقد آن وقت خروجك .

السايس : إن ما لا يجرؤ لسانى على قوله أشعر به فى قلبى .

(يخرج)

السجان : هل لسيدى أن يتناول الأكل ؟

رتشرد : ذقه أولا كما هى عادتك من قبل .

السجان : لا أجرؤ يا سيدى لأن سير برسى إكستن الذى قدم حديثاً من الملك أمرنى أمراً على العكس من ذلك .

رتشرد : فليستول الشيطان على هنرى لنكستر وعليك ! لقد أصبح الصبر مبتذلا وقد برمت به (يضرب الحارس)

الحارس : الغوث ، الغوث ، الغوث

(يدخل سير برسى إكستن وخدم مسلحون)

رتشرد : ما هذا وماذا يراد بى الآن ؟ ما الذى يقصد بالقضاء على بهذا الاعتداء الشنيع ! أيها الوغد إن يدك تقدم لى آلة الفتك بك (يخطف سيفاً ويقتل خادماً) اذهب أنت واشغل حجرة أخرى فى جهنم (يقتل خادماً آخر ، فيطعنه إكستن) إن هذه اليد التى رمتنى ستحترق فى نار تظل مستعرة دائماً أبداً . يا إكستن إن يدك العاتية قد دنست وطن الملك بدمائه . أى روحى ، هيا اصعدى ، اصعدى

فإن مقرك فى العلا فى حين أن جسدى البليد سينزل هنا إلى الحضيض ليموت . (يموت) .

إكستن : إنه مملوء شجاعة كامتلائه بالدم الملكى ، ولقد سكبت شجاعته ودمه . ليت العمل كان حسناً ! لأن الشيطان الذى قال لى إنى عملت خيراً ، يقول لى الآن : إن هذا العمل مآ ل صاحبه إلى جهنم . سأحمل هذا الملك الميت إلى الملك الحى . أما الآخرون فخذوهم وادفنوهم هنا .

(يخرج)

المنظر السادس

وندسور — حجرة فى القلعة

(ترنيم من الأبواق . يدخل بولنجبروك ويورك ولوردات وتوابع)

بولنجبروك : أيها العم يورك الشفيق : إن آخر أخبار وصلتنا تنم عن أن الثوار أضرموا النيران ودمروا مدينة سِستر فى جلوسترشر ، ولكن لم نعلم إذا كان قد قبض عليهم أو قتلوا .

(يدخل نرثأمبرلند)

مرحباً أيها اللورد . ما وراءك من الأخبار؟

نرثأمبرلند : أتمنى أولا لشخصك المقدس كل سعادة وهناءة . أما الأخبار التالية فهى أنى أرسلت رءوس سلسبرى وبلنت

وكنت إلى لندن . وسترى فى هذه الورقة تفصيل وسائل التنفيذ فيهم . (يقدم له ورقة) .

بولنجبروك : أشكرك يانرثأمبرلند اللطيف على عنائك ، وسأكافئك مكافأة تستحقها لتزيد من قدرك .

(يدخل فتزوتر)

فتزوتر : لقد أرسلت من أكسفورد إلى لندن رأسى بركاس وسير بنت سيلى ، وهما اثنان من الخونة المتآمرين الذين حاولوا فى أكسفورد أن ينزلوك عن عرشك .

بولنجبروك : لن أنسى ما كابدته من العناء يا فتزوتر . وإنى أعلم تمام العلم استحقاقك مرتبة الشرف .

(يدخل برسى ومعه أسقف كارليل)

برسى : إن المتآمر العظيم رئيس دير وستمنستر قد قضى نحبه ، وضميره مرتبك . وكان حزيناً أشد الحزن ، ولكن كارليل ما زال حياً لينزل على حكمك أيها الملك بما جلبه عليه كبرياؤه .

بولنجبروك : يا كارليل هذا هو قضائى فى أمرك : اختر مكاناً خفياً أو بقعة مقدسة أكثر مما لك ، تتمتع فيها بحياتك ، حتى إذا ما عشت هادئاً مسالماً تموت محرراً من جو الاضطراب والمشاكسة ، لأنك وإن كنت عدوى فإنى رأيت فى حياتك دائماً شرارة من الشرف .

(يدخل سير برسى إكستن ومعه توابع يحملون نعشا)

إكستن : أيها الملك العظيم . إنى أحمل لك فى هذا النعش الخوف المدفون . ففيه يرقد خامد الأنفاس أقوى أعدائك العظام رتشرد البردوى وقد أحضرته هنا .

بولنجبروك : أى إكستن إنى لا أشكرك لأنك أتيت بيدك الفتاكة عملا إدّا ، يجلل بالعار رأسك ورأس هذا الوطن المشهور .

إكستن : لقد أتيت هذا العمل بتحريضك بالقول .

بولنجبروك : إن من هم فى حاجة إلى السم لا يحبونه ، ولذلك فإنى لا أحبك . ومع أنى رغبت فى موته فإنى أكره القاتل الذى أحب قتله . وستبوء بتبكيت ضميرك على فعلتك ، ولن تحظى منى بكلمة طيبة أو بشرف عظيم . وسيكون شأنك شأن قابيل تسير فى ظلمات الليل ولن تجرؤ على الظهور فى أثناء النهار أو فى الضياء .

أيها اللوردات إنى أعلن لكم أن روحى مفعمة بالأسى والحزن ، لأن دماً أهريق ليرفع شأنى . هيا واحزنوا معى على الذى أرثى له . والبسوا معى الملابس السوداء من أجله حالا .

سأرحل إلى الأرض المقدسة لأغسل هذا الدم من يدى الآثمة . هيا فاتبعونى واشتركوا معى فى أحزانى بتذراف الدموع على جدث هذا الذى مات قبل أوانه .

(يخرجون)

١٩٤٨/٢٢٤٩



ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

الثمن ١٥ قرشاً

3
ma
Bibliotheca Alexandrina
06603000